روايات الهلال

فرانسواز ساجان

خفقات قلب



روايات الهلال

Rewayat Al-Hilal

تصدر عن مؤسسة « دار الهلال »

العدد ٢٣٩ ـ نوفمبر ١٩٦٨ ـ شعبان ١٣٨٨

No. 239 - Novembre 1968

رئيس التحرير

كامل زهيرى

بيانات ادارية

ثمن العدد : فى الجمهورية العربية المتحدة ١٠٠ مليم ـ عن الكميات المرسلة بالطائرة ـ فى سوريا ولبنان ١٢٥ قرشا ، فى الاردن والعراق ١٢٠ فلسا

قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عددا » فى الجمهورية العربية المتحدة وبلاد اتحاد البريد العربى والافريقى ١٠٠ قرش صاغ ـ فى سائر انحاء العالم ٥ ونصف دولارات أو ٤٠ شلنا والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى الجمهورية العربية المتحدة والسودان بحوالة بريدية . فى الخارج بتحويل أو بشيك مصرفى قابل الصرف فى « ج.ع.م » ـ والاسعار الموضحة اعلاه بالبريد العادى ـ وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل على الاسعار المحددة عند الطلب .

الادارة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب ـ القاهرة

تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »

الغلاف بريشة الفنان : جمال قطب

روايات الهلال

مجلة شهرية لنشر القصص العالمى

خفقات قلب..

بقلم

فرنسواز ساجان

دار الهلال

الجزء الأول

الريح



— ١ —

فتحت عينيها عندما انسابت نسمة مفاجئة الى داخل الحجرة ، هزت الستارة فجعلتها كالشراع .. ومالت الزهور فى الزهرية الكبيرة ·· فطار من عينيها النعاس

كانت هذه أولى نسمات الربيع تحمل أريج الغابات والاحراش والارض . عبرت أحياء باريس القديمة ، وشوارعها المفعمة بالعطر حتى وصلت الى غرفتها فى الفجر ، خفيفة ، صداحة لتشعرها ، قبل أن تستفيق تماما ، بلذة الحياة

أغمضت عينيها ، وانكفأت على بطنها ،ووجهها غارق فى الوسادة، وأخذت تتحسس بيدها الساعة التى كانت على الارض . لا شك انها نسيتها . كما تعودت أن تنسى كل شىء ...

نهضت بحذر ، وأطلت برأسها من النافذة ، وما زالت العتمة مخيمة ، والنوافذ المواجهة لنافذتها مغلقة ، لم يكن لهذه النسمة أى حق فى ان تجىء فى مثل هذه الساعة ...

وعادت الى سريرها من جديد بعد أن لفت ملاءة السرير حول جسدها باحكام ... وتظاهرت بالنوم بضع لحظات . لكن عبثا .. فالنسمة ملأت فضاء الغرفة ، أحست بها من تمايل الزهور ورعشة الستارة . وبين لحظة وأخرى. كانت تهب عليها ، كأنها تناشدها، وهى تحمل كل عطر الريف :

ـ هيا ... تعالى معى ... الى النزهة

لكن جسدها الواهن كان يرفض الحركة · وما زالت بقايا أحلام تداعب رأسها ، وابتسامة رضا ترتسم على شفتيها تدريجيا وقد ترامى الى خيالها ... الفجر ، الريف فى الفجر . وترامت الى بصرها الزهور الأربع على الشرفة ، أوراقها الدقيقة ومن ورائها السماء البيضاء · وترامى الى سمعها صوت الحصى فى الفناء تحت أقدام الكلب ...

·· وترامى الى خيالها أطياف الطفولة الدائمة

ما الذى يجعل الطفولة لطيفة محببة دائما ، على الرغم من أن الكتاب يشتكون منها ، وعلى الرغم من نظريات التحليل النفسى ؟

يكفى ان يهتف الانسان بينه وبين نفسه : آه ، حين كنت صغيرا ·· حتى يعود اليه هذا الاحساس بلطف الطفولة

انه الشوق لاسترجاع هذا الاحساس بعدم المسئولية ...

ولكنها لم تقل لأحد انها لم تفقد هذا الاحساس بعدم المسئولية ...

كانت تحس أنها ما زالت طفلة أبدا

وجعلتها هذه الفكرة تنهض من مكانها ، وبحثت بعينيها عن « الروب » فلم تجده . لا بد أن أحدا وضعه فى مكان ما . ولكن أين ؟؟ وفتحت الدواليب وهى تتنهد ، لن تتعود اطلاقا على هذه الحجرة ولا على غيرها ·· ان الديكور لا يستثير فى نفسها شيئا ، رغم ان الغرفة جميلة . سقفها عال .. لها نافذتان واسعتان تطلان على الشاطىء الأيسر لنهر السين ·· والسجادة لونها رمادى يميل الى الزرقة ، مريحة للعين والقدم · والسرير يبدو كأنه جزيرة وحوله قطعتان فقط من الاثاث · منضدة صغيرة ، وأخرى قصيرة بين النافذتين ، من طراز أصيل ، كما يقول شارل

دخلت الى غرفة « شارل »

كان غارقا فى النوم ، والنوافذ مغلقة ، ومصباح سريره مضىء ، وكأن النسمة لم تحرك فيه شيئا ، وكانت الحبوب المنومة الى جوار علبة السجائر ، والولاعة ، والمنبه المضبوط على الساعة الثامنة ، وزجاجة المياه الغازية ، وجريدة « الموند » ملقاة على الارض ·· وجلست على السرير تنظر اليه

وشارل فى الخمسين من العمر .. له ملامح جميلة ، فيها شىء من الرخاوة ، وتبدو عليه التعاسة حين ينام

وفى هذا الصباح بالذات كان يبدو أكثر حزنا وتعاسة من المعتاد

كان يملك أموالا وعقارات ، ولكن علاقاته الانسانية كانت تصطدم بكثير من العقبات ، لانه كان خجولا ومؤدبا مما يجعله أحيانا باردا

انهما يعيشان معا منذ عامين .. فى شقة واحدة ، يريان نفس الناس ويتقاسمان أحيانا نفس السرير

واستدار شارل تجاه الحائط وتنهد ...

وعادت اليها فكرتها القديمة . لا بد أنها تسبب له التعاسة وعلى أى حال ، فلا بد أن يكون تعسا مع أية امرأة أخرى ما دامت تصغره بعشرين عاما ، وما دامت مجنونة باستقلالها

وتناولت سيجارة وأشعلتها فى هدوء ، وعادت الى أفكارها

ان الشيب يزحف الى راس شارل .. والعروق تظهر فى يديه الجميلتين ، كما ان شفتيه بدأتا تفقدان لونهما قليلا ··

وفاجأتها موجة من الحنان تجاه شارل

فكيف يمكن ان يكون بمثل هذه الطيبة ، وهذا الذكاء ، ومثل هذه التعاسة ؟ !

انها لا تستطيع أن تفعل له شيئا : فلا يمكن مواساة أحد لمجرد أنه يعيش ، أو لانه يموت

وبدأت تسعل ، وأحست بأنها اخطأت لانها دخنت سيجارة قبل أن تتناول شيئا من الطعام ·· لا بد من عدم التدخين على الريق ، أو شرب الخمر ، أو ارهاق القلب ، أو انفاق المال ، أو الاسراف فى الحب ، أو أى شىء

تثاءبت . سوف تأخذ السيارة ، وتلاحق النسيم بعيدا فى الريف · ولن تشتغل اليوم شأنها بالامس ، فلقد فقدت عادة العمل بفضل شارل ...

وبعد نصف ساعة كانت تسير فىطريق نانسى ، وكان الراديوفى سيارتها المكشوفة يذيع قطعة موسيقية ·· هل هى من تأليف جريج ، أم شومان ، أم رحمانينوف ؟ على أى حال أنه مؤلف رومانسى

لكن من هو ؟ ؟

أقلقها السؤال ·· وأطربها فى الوقت نفسه

انها لا تحب الثقافة .. لقد استمعت الى هذه القطعة عشرين مرة ، وأحست أن مؤلفها وضعها خصيصا للحظات الهزيمة والحنان

ولم تكن تدرى شيئا عن مصدر عذابها ··

لا شك أنها تتقدم فى السن ·· لكن هذا لم يعد يهمها · فلم تعد تفكر فى هذا الامر منذ زمن ·· بل ولم تعد تنظر فى المرآة ، ولم تعد تريد أن تتعرف على نفسها بعينيها ، ولم تعد تفعل شيئا سوى أن تترك الحاضر يجرى ·· كما يجرى نسيم الفجر الطليق

ـ ٢ ـ

استيقظ « شارل » على صوت السيارة فى الفناء ، وسمع « لوسيل » تغنى وهى تقفل باب الجراج ، وتساءل مدهوشا :

كم تكون الساعة ؟!

كانت ساعته تشير الى الثامنة

وظن لحظة أن « لوسيل » لا بد أن تكون مريضة ، ولكن صوتها المبتهج طمأنه

وأوشك أن يفتح النافذة وأن يوقظها ، ولكنه امتنع ، انه يعرف جيدا هذه النوبة التى تعتريها ··· نوبة الاحساس بالوحدة

وأقفل عينيه لحظة ··· يتمالك نفسه ، ويكبتها كما يفعل دائما حتى لا يضايق « لوسيل »

ولو أنه كان يصغر عن سنه خمسة عشر عاما لفتح النافذة . وصاح بصوت متحكم عال :

ـ « لوسيل » · تعالى · لقد صحوت

ولو أنه كان أصغر سنا ، لكانت « لوسيل » قد صعدت ، وتناولت معه الشاى ··· وجلست معه على السرير ··· وضحكا معا من قلبيهما على شتى الغرائب ··

وهز كتفه

حتىولو استطاع ذلكقبلخمسة عشر عاما ، لما جعلها تضحك منه فلم يكن فى يوم من الايام ظريفا ، بل انه لم يحس فى حياته باحساس الرجل الذى يستخف بالهموم ، الا منذ سنة واحدة ·· بعد أن تعرف عليها

ونهض شارل ، ونظر الى منفضة السجائر فى دهشة · لانه وجد فيها بقايا سيجارة ، وتساءل :

ـ « هل نسى أن ينظف الطفاية فى الليل قبل أن ينام مستحيل !

لا بد أن « لوسيل » جاءت الى غرفته ، ودخنت سيجارة ، وجلست على سريره

فآثارها واضحة ، خفيفة على السرير ، لانه هو لا يترك أثرا على

الاطلاق ... ان الخادمات اللاتى كن يسهرن على حياته وهو أعزب ، كن يهنئنه على هذه العناية ...

انه هادىء شديد الهدوء ، فى يقظته وفى نومه ... والكثيرون يغبطونه على هدوئه ، فى صحوه ونومه ، كما يغبطونه على تعليمه الراقى

وهناك من الناس من يغبطون الاخرين بسبب ظرفهم وجاذبيتهم ، ولكن ذلك لم يحدث له بالمرة ، على الاقل بطريقة محـــايدة ، ليس وراءها دافع المصلحة ..

خسارة

كان يمكن لو قيل له ذلك أن يحس بالســعادة ، وكأنه اكتسى بريش لامع ناعم رائع . لكن نبض الكلمات كان يجعـــله يتعذب ، بوحشية وفى هدوء ، مثل تلك الكلمـــات « الظرف » و « الراحة » و « السهولة » . بل — ويعلم الله — كلمة أخرى لا يعرف سببها هى كلمة « البلكونة »

وقد حدث « لوسيل » مرة عن هذا الحنين . ولم يحـــدثها عن كلمات الظرف والراحة وغيرها . ولكنه حـــدثها بالذات عما تثيره الكلمة الاخيرة « البلكونة » كلما ذكرت فى نفسه ، وقال لها : هـل تتخيلين امكان جمع هذه الكلمة « البلكونة »

وسألته «لوسيل» اذا كانت فى طفولته أشياء لها علاقة بتلك الكلمة

ونظرت اليه « حائرة » . وككل مرة كانت تنظر اليه برقة كان يحس بأمل مجنون يجيش فى أعمـــاقه . ولكنه غمغم شـــيئا عن البلكونات فى السماء التى وصفها بودلير فى أشعاره ، كيف تظل سامقة فى الذرى

ومع ذلك كان يحب « لوسيل » ، ولم يســتطع أن يدعها تعـرف كم يحبها . ولم يســـتطع مصـــارحتها ، لا لانه يخشى أن تسىء استغلال اعترافه بحبه ، ولكن لأنه يخشى أن يثير ذلك الاعتراف فى قلبها الاضطراب أو الحزن

ولذلك كان قد فقد الامل فى ألا تهجره

فهو لا يمنحها سوى الامان

وهو يعرف أن آخر ما تبحث عنه هو الامان ...

ربما ...

ورن الجـــرس ، والتقـط جريدة « الموند » من الارض ، وحاول قراءتها . فلم يستطع .

لا بد أن « لوسيل » قادت السيارة « المكشوفة » تلك التى أهداها اليها فى رأس السنة . وقد اتصل بأحد أصـــدقائه فى « الاوتو —

جورنال » ليعرف منه أحسن السيارات الرياضـــية ، وأقدرها على الثبات على الارض ، وأضمنها .. الى غير ذلك

وكان قد قال « للوسيل » انها أسهل سيارة يمكن الحصـــول عليها بسرعة ، تظاهر أنه طلبها بالصـــدفة ، فى البـــارحة ، وأتم شراءها عن طواعية ، ودون ترتيب . وطارت « لوسيل » من الفرحة ، أما هو : فماذا لو اتصلوا به تليفونيا الآن ، ليخبروه أن ســـيارة زرقاء غامقة وجدت فى الطريق ، وقد انقلبت على جسد امرأة شابة ، تكشف أوراقها ...... ونهض قائما . لقد أصبح غبيا

وجاءت الخادمة « بولين » تحمل صينية الافطار ...

وابتسم :

— ما هو الطقس هذا الصباح ؟

— رمادى .. ولكن الربيع بدأ

كان عمرها ستين عاما ، وهى تعتنى بأموره ، منذ عشر سنوات

وقالت بطريقة آلية :

— الربيع ؟؟

— نعم . هذا ما قالته لى مدموازيل « لوسيل » ...

فقد نزلت قبلى الى المطبخ وأكلت برتقالة ، وقالت لى انها لا بد أن تنصرف بسرعة لان رائحة الربيع تفوح ..

وابتسمت

فقد كان شارل يخاف جدا فى الايام الاولى ، من أن تكره خادمته بولين ... لوسيل .

ولكن بولين بعد مرور شهرين من الانتظار ، انتهت الى تحـديد موقفها : « ان عمر لوسيل العقلى عشرة أعوام ، » و « السيد » لا يرجحها عقلا ، ولا يستطيع حمايتها من الحياة . ولـذلك فمن الافضل أن تقوم هى بهذا الواجب . »

ولهذا كانت تطالب لوسيل بحماسة لطيفة أن تستريح ، وتأمرها بأن تأكل ، والا تشرب . ويبدو أن لوسيل كانت تسعد بهـــذه الاوامر وتطيعها

وأصبح هذا سرا من أسرار بيت شارل وأحد أسباب اضطرابه أيضا ، بل وسعادته فى الوقت نفسه

وســـألها شـــارل :

— هل أخذت برتقالة واحدة فقط ؟

— نعم . وقالت لى أن أنصحك بأن تســـتنشق الهواء بملء رئتيك حين تخرج ، لان الربيع جاء

وكان صوتها لا ينم عن شيء
فهل كانت تدرك أنه أصبح يستجدى لوسيل ؟ ؟

كان شارل يحس أن بولين لا تأخذ عليه تعلقه بلوسيل بل كل ما فى الامر انها تؤاخذه على افراطه فى التعلق بها . وافراطه فى الحب الجائع المعذب ، لا يدع أحدا غيرها يستطيع تخمينه ، وأصبحت بولين لا تستطيع أن تفسر لنفسها هذا الافراط ، الذى يتكتمه بشيء من الاتزان والتقبل الاموى لشخصية لوسيل .

ولعل بولين كان يمكن أن تنعى عليه أنه شغف بشخصية لطيفة . وكان يسهل عليها أن تعاتبه لو انه تعلق بشخصية شريرة . ولم تكن تدرى أن التعلق بشخصية لطيفة قد يكون أحيانا أفظع



- ٣ -

منذ أيام المأسوف عليه سانتريه ، كانت شقة كلير سانتريه شديدة الابهة .

ولعلها الآن أصبحت أقل فخامة . ويمكن ملاحظة ذلك فى بعض التفاصيل الدقيقة : فالستائر الزرقاء صبغت عشرين مرة ، والعيون الحائرة التى ينظر بها رؤساء الخدم ـ المستأجرين باليومية ـ فينكشف حالهم ، حين يبحثون ، ولو للحظة أى المنافذ الخمسة يوصل الى الاوفيس

ومع ذلك ، فشقة كلير سانتريه ما زالت من أبهى الشقق فى شارع مونتننى ، وسهراتها من أكثر السهرات التى تلقى كثيرا من الترحاب

أما كلير نفسها ، فمديدة القامة ، نحيفة القد ، مفرطة الحيوية ، شعرها أشقر يميل الى العسلى الداكن . عمرها يزيد على خمسين عاما ، ولا يبدو عليها أثر السن تتحدث بنشوة عن الحب ، ولكنها لا تكترث به ، وان كانت تحفظ له ذكريات سعيدة . ولهذا يحبها النساء ، ويقبل الرجال على مغازلتها مع شيء من التضاحك

كانت واحدة من شلة النساء المتوسطات العمر اللائى يشققن طريقهن فى باريس ، ويحببن ، ويحافظن على آخر صيحة فى الموضة ..

ونجد دائما ، على مائدة عشائها الانيقة ، أمريكيا ، أو أمريكيين ، أو رجلا من فنزويلا

وكلير سانتريه تحذر مدعويها مقدما بأن هؤلاء الهابطين على مائدتها قد يكونون ثقلاء الدم ، ولكنها دعتهم على أى حال لاسباب تجارية بحتة ، فهم يتناولون العشاء عندها كتفا لكتف مع سيدة عصرية ، يتابعون الحديث بصعوبة ، لان الحديث يمتلىء غالبا بالالغاز والغمزات ، والمعاتبات الغامضة ، ويأملون بعد عودتهم الى كاراكاس أن يقصوا ما سمعوه فى تلك السهرة . وكانت كلير ، مقابل هذه الدعوات ، تحصل على حق توزيع الاقمشة الفنزويلية فى فرنسا ، أو العكس ، ولم تكن حفلاتها الطروب تخلو من الويسكى .

وكانت فى بيتها مدبرة ، لا تقول شيئا كريها ما لم تحس بضرورة ذلك أو لخوفها من أن تتهم بالغباء

وكان شارل بلاسان لينير من أعمدة هذه الحفلات طوال عشر سنوات

كان يقرضها كثيرا من المال ، ولا يذكرها به

كان ثريا ، وكان من قبل جميل الملامح ، وكان قليل الكلام وان كان يتكلم فى الوقت المناسب ، وبين الحين والحين وكان احيانا يضطر الى اقامة علاقة غرامية مع احدى النساء اللاتى تحميهن كلير

وتستمر العلاقة عاما أو عامين . فيصحبهن الى ايطاليا فى أغسطس ، ويرسلهن الى سان تروبين للتسلية حين يشكن من حر الصيف ، أو يرسلهن الى ميجيف حين يشكن من الارهاق فى أثناء الشتاء

ثم ينتهى كل شىء بهدية جميلة تعلن نهاية العلاقة ، دون اعلان السبب عموما

وبعد ستة أشهر تستأنف كلير « الاهتمام » بشئونه من جديد ٠ ولكن هذا الرجل الهادىء ، العملى ، بدأ منذ عامين يفلت من يد كلير ٠ فلقد أحب لوسيل ، ولوسيل لا يمكن امساكها

فهى مرحة ، طروب ، مؤدبة ، غريبة الطور ، ولذلك كانت كلير تتعمد عدم الحديث عنها ، أو عن شارل أو عن مشروعاتهما

فقد كانت لوسيل قبل أن تقابل شارل تعمل فى جريدة متواضعة ، تدعى اليسارية ، حتى لا تدفع أجورا عالية لمحرريها ، وكانت جرأة الجريدة تتوقف عند هذا الحد من الجرأة

ولم تعد لوسيل تعمل فى الجريدة ، ولم يعد أحد يعرف ماذا تفعل فى الصباح

فلو كان لها حبيب ، فلا شك أنه ليس من معارف كلير ، على الرغم من أن كلير أرسلت اليها مرارا عددا من فرسانها ٠ وكانت كلير تتطرف فى الخيال فتقترح عليها انشاء بعض العلاقات الصغيرة البلزاكية ، كما تفعل نساء باريس عادة ، ويمكن أن تخرج منها لوسيل بمعطف من فراء الفيزون ، وبشيك من شارل يعادل ثمن المعطف أيضا

وقالت لها لوسيل بصوت جاف :

ـ لا حاجة بى الى النقود، كما أننى أمقت هذا اللون من المعاملات٠

وأدارت لوسيل وجهها عن وجه كلير ٠ فأصاب الرعب قلب كلير ٠ ولكنها بسرعة عبقرية ، مدت يدها لتمسك بيد لوسيل ، وقالت :

ـ أشكرك جدا يا صغيرتى ٠ لابد أن تفهمى ما قصدت اليه ٠ اننى أعرفك جيدا ٠ وشارل مثل أخى ، ولو انك وافقت على مشروعى اذن لخفت عليه منك ٠ هذا كل شىء

وضحكت لوسيل بصوت عال

وكانت كلير تتوقع مشهدا من مشاهد الحنان ، ولكنها بقيت مضطربة حتى رأت شارل فى أول عشاء ، فوجدته لم يتغير واطمأنت

فلا شك أن لوسيل لم تحدثه عن هذا العرض ٠ أو لعلها نسيت بعد حين

وعلى أى حال ، فقد بدأ هذا الربيع بداية مشئومة ٠ وكانت كلير تغمغم وهى تراجع قائمة الطعام

وكان جونى كالعادة أول من وصل من المدعوين ، فأخذ يتبعها كظلها

وجونى كان فى شبابه منحرفا ، حتى وصل الى سن الخامسة والاربعين ولم يعد الان ـ بعد يوم من العمل ، وبعد سهرة تمتد فى المدينة ـ يستطيع أن يجد شابا جميلا فى منتصف الليل

وأصبح يكتفى بالنظر بعيون مخبولة الى أى شاب يقابله

فالحياة العصرية تقضى على كل شىء ، حتى على الرذائل ٠

ولا بد للنفوس النقية أن تتهم الحياة العصرية بهذه النقيصة

وأصبح جونى لذلك هو الفارس الحارس لكلير ٠ يصحبها فى حفلات الافتتاح ، ودعوات العشاء ، ويستقبل المدعوين فى حفلاتها باضطراب وحنكة متقنة لا تخلو من اللطف ٠ وكان جونى يدعى فى الاصل « جان » ، ولكن الناس جميعا وجدوا « جونى » اسما ألطف ، فرضى به ، ولانه أيضا كان وهو فى العشرين قد اكتسب لكنة أنجلو سكسونية خفيفة

ـ فى أى شىء تفكرين يا عزيزتى ؟؟ يبدو عليك الاضطراب !

ـ افكر فى شارل ، وافكر فى ديانا ٠ هل تعلم أنها ستصحب « حبها الجميل » هذا المساء

لم أرها سوى مرة واحدة ، ولكننى لا أعتمد عليه كثيرا فى ادخال البهجة على الحفلة

كيف يمكن أن يكون فى الثلاثين ، وبمثل هذا الجسد ، ويكون كئيبا كل هذه الكآبة ؟

ـ ان ديانا مخطئة فى أن تشتبك مع هؤلاء المثقفين ٠ ولن تنجح العلاقة بالمرة

وقالت كلير :

ـ ليس جميع المثقفين متعبين ٠ ان بعضهم مسلون للغاية

ثم ان أنطوان ليس مثقفا

انه مجرد مدير لمجموعة كتب فى دار نشر « رينووار »
ثم ماذا يكسب هؤلاء ؟ : لا شىء ! انك تعرفه كما أعرفه • وثروة ديانا والحمد لله تكفى لكى ••

وقال جونى فى تخاذل ، وهو يفكر فى أن انطوان شاب جميل :

ــ لا أظن أنه يهتم بها كثيرا

وقالت كلير :

ــ سوف يأتى بلهجته التى يبدو عليها التعب من كثرة التجارب

وديانا فى الاربعين ، وتملك عدة ملايين • وهو فى الثلاثين ولا يملك سوى بضع مئات • فكيف تستمر هذه المعادلة ؟

وضحك جونى ، ثم توقف على الفور

كان قد وضع « كريما » على وجهه لاخفاء تجاعيده ، كما نصحه بيير أندريه ، ولكن الوقت لم يسعفه لتجفيفه تماما

فقد كان عليه أن يبقى الكريم على وجهه حتى الثامنة والنصف ••
وكانت الساعة فى هذه اللحظة هى الثامنة والنصف

وأخذ يضحك ، ويرمق كلير بلحظة المندهش

وكان جونى ملاكا طيبا ، ولكن هذه الرصاصات التى أصابته فى حرب ٤٢ ، والتى جعلت منه بطلا من ابطال الطيران ، قد هزت شيئا ما فى عقله

ولا بد أن شيئا قد أصيب فيه • ولعلها حلمة أذنه

ونظرت اليه كلير وهى مبتهجة

لعلها كانت تتساءل ، وهى تنظر الى اصابعه الطويلة البيضاء ، التى ترتب الان بعذوبة فائقة ازهار المائدة ، كيف أمسكت تلك الاصابع سلاحا ، وكيف أحرقت طائرات وسط الليل ••

ليس غريبا أن يحدث كل شىء من البشر • ولعل هذا ما يجعل كلير لا تحس بالضجر

تنهدت بارتياح ، ثم توقفت بسرعة عن تنهدها العميق ، حين اعترضها ذيل ثوبها

لاشك أن كاردان ، مصمم الازياء يبالغ ويشط • فقد صمم ثوبها ، وكأنه يتخيلها جنية من الجان

وحاولت لوسيل أن تخفى تثاؤبها ، واكتفت باخراج التثاؤب تلفظه برقة ، من بين اسنانها • فكادت تشبه الارنبة ، وان لم تمتلىء عيناها بالدموع بعد التثاؤب

وبدا العشاء كأنه لا ينتهى

وكانت تجلس بين جونى ، الذى كان يمسح خديه منذ بدا

العشاء وقد بدا عليه القلق ، وبين شاب جميل قيل أنه عشيق ديانا ميريل الجديد

ولم يقلقها الصمت

ولم تحس بأقل رغبة فى أن تبهر الانظار • لانها كانت استيقظت مبكرة جدا

وحاولت أن تتذكر رائحة هذه الرياح اللعينة ، فأجفلت لحظة •

وحين فتحت عينيها ، التقت بنظرة من ديانا فوجدتها نظرة قاسية شديدة القسوة ، واندهشت

هل تحب ديانا هذا الفتى الى درجة الجنون ؟ أم انها تحس بالغيرة فقط ؟

ونظرت اليه

كان شعره أشقر فى لون الرماد • وكان فكه بارزا

وكان الشاب يكور بين أصابعه كرة من الخبز • وكان قد كور من قبل عدة كرات حول طبقه

وتطرق الحديث الى المسرح ، ولذ لكلير الحديث ، لانه كان يدور حول مسرحية تعشقها كلير ، وتكرهها ديانا

وبذلت لوسيل مجهودا ، وسألت الشاب :

ــ هل شاهدت هذه المسرحية ؟

ــ لا • أنا لا أذهب مطلقا للمسرح • وانت ؟

ــ نادرا ••

ــ آخر مرة ذهبت فيها الى المسرح لاشاهد مسرحية انجليزية فكاهية فى مسرح الاتيلييه ، وكانت فيها هذه الممثلة التى قتلت فى حادث سيارة ، ما اسمها ؟

وقالت بصوت خفيض ، وهو يمد يده فوق مفرش المائدة :

ــ ساره

وظلت لوسيل مندهشة لحظة أمام تعبير وجهه • وقالت بسرعة فى نفسها :

ــ يالله • يا له من تعس !

ثم قالت :

ــ معذرة !

والتفت نحوها ، وسألها بصوت حزين :

ــ ماذا ؟

ولم يعد يراها

وكانت تحس به ، وهو يتنفس الى جانبها ، بأنفاس متقطعة ،

كأنها انفاس من تلقى ضربة ، وانها هى التى وجهتها اليه من غير قصد ، لكنه لا يستطيع احتمالها

ولم تكن تحس بالرغبة فى التهجم الوقح ، ولا فى القسوة الوحشية من باب أولى

ـ فى أى شىء تحلم يا انطوان ؟

كانت فى صوت ديانا لسعة غريبة ، لهجة فيها شىء من الاستخفاف

ولكن انطوان لزم الصمت • لم يجب • كأنه لا يرى ولا يسمع•

وقالت كلير ضاحكة :

ـ أؤكد أنه يحلم • انطوان ، انطوان ••

لا اجابة • صمت مطبق

نظر المدعوون ، والشوك أمامهم لا تتحرك ، الى هذا الشاب الباهت الذى يمسك بدورق ماء ـ دون اهتمام ـ وسط المائدة •

ووضعت لوسيل فجأة يدها على كم قميصه ، فاستيقظ قائلا :

ـ ماذا تقولون ؟

وقالت ديانا بصوت جاف :

ـ كنت أقول انك تحلم • وكنا نتساءل فى أى شىء تحلم ؟ أم أن هذا سر ؟

وأجاب شارل :

ـ هذا سر

ونظر شارل الى انطوان بعناية ، كما رمقه الجميع بنظراتهم

لقد ظنوا أول الامر حين استقبلوه أنه آخر عشاق ديانا • أو أنه العاشق الذى تنفق عليه أموالها ، فاذا بهم يرونه فجأة شابا حالما

وهب نسيم الحسد ، والحنين على المائدة

وهبت نسمة من الرغبة ـ والانتقام فى جمجمة كلير

قبل كل شىء ، ان هذا العشاء أقيم للنخبة الممتازة : للاذكياء والشواذ • الذين يعرفون كل شىء •• فاذا كان هذا الشاب يحلم بعشاء مع فتاة صغيرة من فتيات الحى اللاتينى ، فى مقهى متواضع، فلا عليه الا أن يترك ديانا ، وهى أكثر نساء باريس المرموقات الفاتنات ••

انها تحمل سنواتها الخمس والاربعين كأجمل ما تحمل المرأة عمرها •

ولكنها هذا المساء ، بالذات ، كانت باهتة اللون ، وكان يمكن لكلير أن تظن أنها تعسة ، لو أنها لم تكن تعرفها جيدا

وانطلقت كلير قائلة :

ـ أراهن أنك تحلم فى سيارة فيرارى ؟

لقد اشترى كارلوس آخر طراز من السيارة ، وقد جعلنى أجربها ذات يوم ، وأحسست أن ساعتى الاخيرة قد حانت

وأضافت وهى مندهشة :

ـ ولكنه يقود بمهارة فائقة

لان كارلوس وريث أكبر العروش ، وقد أحست كلير بالرضا ، لان كارلوس وجد أخيرا فى سيارات السباق شيئا يشغله ، بدلا من الانتظار فى قاعة فندق « كريون » .. انتظار عودة الملكية

والتفت انطوان الى لوسيل وابتسم لها

كانت عيناه عسليتين فاتحتين صفراوين تقريبا • أنفه حاد • فمه طويل جميل • فيه شىء من الفحولة يتناقض مع هذا اللون الباهت ، وهذا الشعر الرقيق المراهق

قال بصوت خفيض :

ـ معذرة لعلك تجديننى وقحا

ونظر اليها فى عينيها • لم يلق بنظره مسترخيا على المائدة أو على كتفيها ، كما هى العادة كأنه أراد أن يختص بها دون الجالسين•

وقالت لوسيل :

ـ فى ثلاث جمل ، تبادلنا اعتذارين

وقال مبتهجا :

ـ لاننا نبدأ من الختام

كل رجل وامرأة يتبادلان الاعتذار فى النهاية ..

« آسف لم أعد أحبك » ••

ـ ان هذا الاسلوب فى غاية الرقة

ان ما يثيرنى حقا هو الاسلوب النبيل « معذرة ، كنت أظن اننى احببتك ، لكننى أخطأت • وأحس أن من واجبى ان أصدقك القول » ••

وسألها انطوان :

ـ الم يحدث لك هذا مرارا ؟

ـ أشكرك ألف مرة

ـ أريد أن أقول • لاشك انك لا تجعلين الرجال يقولون لك ذلك• انك تحملين حقائبك فى التاكسى قبل هذه المرحلة

وقالت لوسيل ضاحكة :

ـ وخاصة أن حقائبى لا تزيد على بلوفرين من الصوف ، وفرشاة أسنان

وتوقف انطوان لحظة :

ـ ياه ! لقد ظننتك عشيقة بلاسان لينير

ولمعت فكرة سريعة فى ذهنها « يا للاسف ، لقد كنت أظنه ذكيا» ولم يعد أمامها سبيل ممكن للتعايش بين الذكاء والشقاوة الفطرية٠

فقالت بصوت هادىء :

ـ هذا صحيح ، انت على حق ٠ لو اننى هجرته الان ، فسأمشى فى سيارتى المليئة بالفساتين ٠ ان شارل كريم جدا

وأخفض أنطوان عينيه :

ـ معذرة ٠ انى لا أطيق هذا العشاء ، ولا أحب هذا الوسط

ـ لا تجىء مرة ثانية ٠ ثم ان هذا خطر عليك ، فى مثل سنك

وقال انطوان وقد غضب بسرعة :

ـ اتعرفين يا صغيرتى ، اننى اكبرك فى السن

وانفجرت بالضحك

والتفتت ديانا ، والتفت شارل اليها

ولقد وضعا فى نهاية المائدة ، جنبا الى جنب ، كل واحدة منهما فى مواجهة من يحميه !

كأن الاباء فى ناحية ، والابناء فى الناحية الاخرى

طفلان عجوزان فى الثلاثين يرفضان الكبر

وتوقفت لوسيل عن الضحك

انها لا تفعل شيئا ، ولا تحب أحدا ٠٠ أى حياة ٠٠ لو انها لم تكن سعيدة بمجرد وجودها فى الحياة ، اذن لانتحرت

وضحك انطوان

وأحست ديانا بالعذاب

لقد رأته ينطلق فى الضحك مع امرأة أخرى ٠ وهو لا يضحك معها ٠ لعلها كانت تفضل أن يقبل لوسيل أيضا ٠ ان هذه الضحكة مرعبة ، وهذا التظاهر بالشباب المفاجىء أيضا

علام يضحكان ؟!

ونظرت الى شارل ، ولكن الحنان كان يبدو عليه ٠ بل لقد أصبح غبيا منذ عامين

ان هذه الصغيرة لوسيل فاتنة ، ولا بأس بها ، ولكنها ليست جميلة ، وليست رائعة الجمال

وكذلك أنطوان ٠ لقد عرفت رجالا اكثر جمالا منه ، وكانوا يعشقونها بجنون ٠ نعم بجنون

ولكنها تحب انطوان ٠٠٠

انها تحبه ، وتريده أن يحبها ، ولسوف تخضعه ذات يوم ، وتضعه تحت سلطانها

ولسوف ينسى هذه الممثلة التى ماتت ٠ والتى لم يكن يرى سواها : ساره ٠٠

كم مرة سمعت هذا الاسم : ساره

لقد كان يحدثها عنها فى البداية حتى اعترف ذات يوم بأن ساره تخونه ، وأن الجميع يعرفون ذلك

وقال بصوت محايد : « وأنا كذلك أعرف »

ومنذ ذلك الوقت لم ينطقا باسم ساره ٠ ولكنه كان يتمتم باسمها أحيانا ، وهو نائم

وقريبا ، قريبا جدا ، حين يعود الى نومه ، وحين يمد ذراعه على جسمها فى الليل ، سوف لا ينطق بغير اسمها

وأحست أن عينيها قد امتلأت بالدموع

وأخذت فى السعال ٠ واخذ شارل يدعك ظهرها بلطف

ان هذا العشاء لا ينتهى

وكلير سانتريه أفرطت قليلا فى الشراب ، وقد بدأت تتعود على هذا الافراط تدريجيا

كانت تتناقش فى الرسم بايمان يفوق تماما ما تعرفه عن الرسم

وبدا على جونى ، وكان مغرما بالرسم ، انه يحس بالعذاب الشديد

وقالت كلير :

ـ وحين جاء ذلك الفتى عندى ، وهو يحمل هذا الشىء تحت ابطه ، فوضعت اللوحة فى الضوء ، وظننت أن نظرى أصيب بشىء ، فماذا قلت له ؟

والتفت الجمع فى تعب :

ـ قلت له ٠ أيها السيد ٠ لقد كنت أظن أن لى عينين تريان

ولكننى الان مخطئة

اننى لا أرى شيئا فى اللوحة على الاطلاق

ولا شك انها قامت بحركة عنيفة ، لكى تصور الفراغ الذى كان يملأ اللوحة فأصابت يدها كأس النبيذ ، فوقعت

وانتهز الجميع هذه الفرصة السانحة لينهضوا من على المائدة

وخفضت لوسيل رأسها ، وفعل أنطوان مثلها

كانا يضحكان ضحكا من القلب ٠٠ كأنه ضحك التلاميذ

— ٤ —

لا يتحدث الناس بالقدر الكافي عن الفضائل ، والاخطار ، أو القوة التى تنطلق من ضحكة مشتركة

وقد ينسون الحب ، والصداقة ، والرغبة ، واليأس

لكن ما كان بين أنطوان ولوسيل كان اكثر

كان تلك الضحكة المفاجئة التى يضحكها تلاميذ المدارس

على الرغم من أن كلا منهما مرتبط بمخلوق آخر : يشتهيه ،ويخلع ثيابه ، ويحميه ، وعلى الرغم من انهما كانا يعلمان انهما سيلقيان العقاب على ما يفعلان ذات يوم ، الا انهما استسلما للضحك فى ركن الصالون

ويقضى البروتوكول الباريسي ، أنه اذا تصادف جلوس عاشقين منفصلين على المائدة فتعلن هدنة قصيرة ، حتى يأتى كل عاشق الى رفيق سريره ، ليبادله التعليق ، أو بعض الكلمات الغرامية ، أو بعض العتاب

ولذلك انتظرت ديانا أن يجيئها انطوان ، وخطا شارل نحو لوسيل بضع خطوات · لكن لوسيل بقيت تنظر فى عناد الى النافذة ، وقد امتلأت عيناها بالدموع

وحين التقت نظرتها بانطوان ، وهو يقف قريبا منها غضت نظرها بسرعة ، ثم وضعت وجهها فى منديلها

وحاولت كلير للحظة واحدة أن تتجاهلها · ولكن من الواضح أن الحسد وبعض المرارة سادا الصالون

وأسرعت بالايماء لجونى ، ايماءة معناها :

— « قل لهذين الطفلين أن يثوبا الى رشدهما ، والا فانهما لن يدعيا بعد هذه المرة الى حفلاتى »

ولكن أنطوان فاجأ هذه الايماءة ، وهو يستند على الجدار

وتحامل جونى على نفسه متظاهرا بالابتهاج :

— لوسيل · أناشدك أن تحكى ما حدث · ان الفضول يقتلنى

وقالت لوسيل :

— لا شىء · لا شىء سوى ما يلقى الرعب فى القلب

وأعاد انطوان ما قالته لوسيل :

— المرعب المخيف

وكان انطوان رائعا ، عاد اليه الشباب ، وارتد اليه بريق السعادة ، فأصيب جونى بلون من الرغبة الجامحة

ولكن ديانا اقتربت

كانت غاضبة ، وكان الغضب يليق عليها

رأسها الشهير ، وعيناها الخضراوان ، وضمورها الشديد ، كأنها حصان رائع من خيول المعارك

وقالت بلهجة تتراوح بين الشك والتسامح ، وان كان الشك يغلب عليها :

— ماذا وجدتما اذن من الغريب الشاذ ؟

وقال انطوان ببراءة :

— نحن ؟ .. لا شىء

وكانت هذه الـ « نحن » التى لم ينطق بها حين كانا يتحدثان معا عن أى مشروع ، أو أى ذكريات ، هى التى جعلت ديانا تشتعل غضبا

وقالت :

— اذن ، دعكما من التصرف بعيدا عن الادب . اذا لم تكونا ظريفين ، فلا أقل من أن تكونا مهذبين

لحظة صمت

ووجدت لوسيل أن من الطبيعى أن تعاتب ديانا عشيقها ولكنها تبالغ حين ترميهما بصيغة الجمع

وقالت :

— لقد فقدت السيطرة على نفسك · انك لا تستطيعين منعى من الضحك

وقال أنطوان بتمثيل :

— ولا انا أيضا

وقالت ديانا :

— اعذرانى ، فاننى متعبة . مساء الخير

وقالت ديانا لشارل التعس الذى كان قد اقترب فى هذه اللحظة :

— هل تستطيع اصطحابى ؟ اننى احس بصداع شديد

وانحنى شارل

وابتسمت له لوسيل قائلة :

— سألحقك فى البيت

وانصرفت ديانا وشارل

وعلت ضجة من تلك التى تعقب الانفجارات ، فى الحفلات ، واخذ الجميع يتحدثون فى موضوع مختلف تماما ، لمدة ثلاث دقائق ، حتى يعودوا الى التعليق على الانفجار

وبقت لوسيل مع انطوان

اخذت تنظر اليه ، وهى تفكر ، مستندة الى البلكون ، وكان يدخن فى هدوء

وقالت متأسفة :

— لم يكن يحق لى أن افقد صوابى

وقال لها : سأستصحبك · قبل أن ينقلب كل شىء الى دراما

وسلمت عليهما كلير ، بيدها ، كأنها موافقة

وكان يحق لهما ان يعودا الى البيت ، ولكنها تعلم جيدا ماذا يعنى انهما صغيران

لقد كانا يكونان «ثنائيا » رائعا

وكان يمكن أن تقدم لهما العون .. ولكن لا .. هناك شارل بلاسان لينيير

أين ذكاؤها ؟

كانت باريس مظلمة ، طرية ، مغرية

وقررا أن يعودا على أقدامهما · وأحسا بالراحة لمجرد اختفاء وجه كلير وراء بابها ، وقد بدا عليها كذبا أنها موافقة ، ولكن الراحة انقلبت الى رغبة سريعة فى أن يغادر احدهما الاخر ، أو أن يتعارف احدهما على الاخر ، وبالأصح ان يفعلا شيئا قويا ليوقفا مايحسان به

ولم تكن لوسيل تحس بأى رغبة فى أن تلعب الدور الذى كان المدعوون يقترحون عليها أن تلعبه ، حين ودعتهم : دور المرأة الشابة التى تهجر حاميها العجوز لتذهب الى شاب جميل

لم يدر بخلدها شىء من ذلك

فقد قالت ذات يوم لشارل : « قد أجعلك تعسا ذات يوم ، ولكننى لن أجعلك أضحوكة للناس »

ولهذا ففى المرات التى خانته فيها ، لم يشك فيها مطلقا

وقد كانت هذه الليلة سخيفة غاية السخف ، فماذا تفعل مع هذا الغريب فى الشارع ؟

والتفتت اليه ، فقال لها مبتسما :

— لا تنظرى هذه النظرة السوداء . هل لك أن تشربى كأسا واحدة ؟

لكنهما تناولا عددا من الاقداح

ودخلا خمسة بارات ، وتجنبا الدخول فى بارين ، لان انطوان لم يكن يستطيع الدخول اليهما دون أن يكون بصحبة سارة

وعبرا نهر السين ، واعادا عبوره ، وذهبا الى شارع ريفولى ، حتى ميدان الكونكورد ، ودخلا بار « هاريز » ، وخرجا منه

وصعدت نسمة الصبح من جديد . واخذت لوسيل تتأرجح من رغبة النوم ، وفعل الويسكى ، وشدة الانتباه

وقال انطوان :

— كانت تخوننى . فالمسكينة كانت تظن انها تستطيع ان تنام مع المخرجين والصحفيين

كانت تكذب على دائما — وكنت احتقرها . وكنت اتظاهر بالسخرية ، أو بأننى الرجل الفخور الذى يحكم عليها ويدينها · فأى حق يا الهى جعلها تحبنى

نعم كانت تحبنى

فأى شىء ، كانت تستطيع أن تحصل عليه منى ··

فى تلك الليلة ، ليلة وفاتها ، كانت ترجونى ان امنعها من ان تسافر الى دوفيل ، ولكننى قلت لها « اذهبى · ما دمت تجدين فى السفر التسلية · ولكن كم كنت أحمق ·· ومدعيا ·· »

ومرا بأحد الكبارى · وسألها عن حياتها :

وقالت لوسيل :

— لم افهم شيئا عن اى شىء . ان حياتى كانت تبدو منطقية ، حتى هجرت اهلى . أردت أن أحصل على الليسانس من باريس . ولكننى كنت احلم . فقد كنت ابحث عن اهل فى كل مكان · بين اصدقائى ، وأحبائى ، وتحملت الا يكون لى شىء ، لا احمل هما ، ولا اطمع فى المستقبل

وهكذا سارت حياتى سهلة · وهذا فظيع · لا أعرف لماذا ؟

ان شيئا فى داخلى يتوافق مع الحياة لمجرد اننى اصحو من النوم . ولست استطيع أن اغير نفسى

وماذا أستطيع أن أعمل ؟ ليست لى موهبة · لا بد لى أن أحب كما أحببت يا انطوان

انطوان ، ماذا تفعل مع ديانا ؟

وقال انطوان :

ـ انها تحبنى
وانا أحب النحيفات الطويلات مثلها
وقد كانت سارة قصيرة مستديرة ، وكان هذا يجعلنى ابكى من الحنان
هل تفهمين ؟ ثم ، لقد كانت تصيبنى بالضجر
كان التعب يبدو عليه
فذهبا الى شارع « وى باك » ، ثم دخلا ، متفقين ، الى أحد البارات الصغيرة . ونظر كل منهما الى وجه الاخر ، بلا ابتسام ولا قسوة . وكان « الجوك بوكس » يعزف فالسا قديما لشتراوس، وكان أحد السكارى يرقص متمايلا ، مترنحا فى نهاية البنك
وهمس صوت فى أعماق لوسيل :
« الوقت متأخر . متأخر جدا . لابد أن شارل جن من القلق . ان هذا الفتى لا يعجبك . وعليك بالانصراف »
وفجاة وجدت خدها على جاكتة انطوان
وضمها بذراعه اليه ، ووضع راسه فوق شعرها ، ولم يتكلم
واحست بهدوء غريب يهبط عليها
كان صاحب البار ، والسكير ، والموسيقى ، والاضواء موجودين فعلا ولعلها هى التى لم تكن موجودة
لم تعد تدرى أى شىء
وأوصلها انطوان بالتاكسى ، وودعته بأدب ، دون أن يتبادلا اى عنوان



— ٥ —

سرعان ما تغير الوضع
وبدأت ديانا بالتغيير
ولم تعد هناك سيدة واحدة تستطيع ان تتخيل دعوة ديانا دون دعوة شارل ، وبالتالى ، تفكر فى دعوة انطوان دون دعوة لوسيل
وقد غيرت ديانا موقفها
فبعد أن كانت فى معسكر القساة المعذبين ، انتقلت الى معسكر الشهداء المعذبين
كانت شديدة الغيرة . ولم تخف غيرتها . وهكذا فشلت
وانتشرت اشاعات فى الربيع الباريسى . وبمثل هذه التقلبات التى اشتهر بها هذا الوسط فى باريس
كل شىء كان يحسب لها أصبح الان يحسب عليها
حتى مركزها ، وقوتها ، أصبحا سبب فشلها . وحتى جمالها (الذى لم يكن جمال شبابها) ، ومجوهراتها (التى لم تكن تكفيها ، ولكن أقل جوهرة من جواهرها كانت تكفى صديقاتها) .. وحتى عربة الرولز التى بقيت لها
كل شىء كانت تمتاز به ، أصبح يحسب عليها
مسكينة ديانا . لقد انقلب الحسد كما ينقلب القفاز . وتعودت ان تخفى وجهها تحت الاصباغ ، وان تقتل قلبها بالمجوهرات ، وان تصحب صينيا من بكين فى سيارتها
وأخيرا ، أصبحوا يعيبون عليها كل شىء ، بعد أن كانت مناط اعجاب الجميع
وكانت ديانا تعلم كل ذلك
كانت تعرف كل شىء عن باريس ، وكان من حسن حظها وهى فى الثلاثين ، أن تزوجت كاتبا ذكيا استطاع ان يكشف لها أسرار هذه الآلة الضخمة قبل أن يهرب . وقد أصابه الرعب
وكانت ديانا لا تخلو من الجسارة التى ترجع الى دماء ايرلندية ، والى تربية مربية سادية النزعات ، والى ثروة خاصة كبيرة أغنتها عن الاعتماد على أى شىء

ان العداوة تحنى الظهر ، وخاصة عداوة النساء

لكن ديانا التى استطاعت أن تنجو من العواطف الجامحة ، ولم تنظر الى اى رجل الا فى الحـدود التى ينظر بها اليهـا ، اصبحت تلاحظ نفسها ، وهى تراقب خلسة ظهر انطوان

بدات تفكر فى أسلوب آخر ، غير العاطفة لتحتفظ به

فماذا يريد ؟

انه لا يحب المال . ويتقاضى مبلغا تافها من ناشره . وهو يرفض بصراحة أن يخرجا معا ، اذا لم يكن فى جيبه مال ٠ وقد حكم عليهما هذا الوضع أن يتناولا العشاء فى البيت وحيدين ، حتى بدات ترفض هذه الفكرة بعد استمرارها ستة شهور

ولحسن الحظ ، كانت هناك حفلات الافتتاح ، وحفلات العشاء ، ومثل هذه المتع المجانية التى يمنحونها فى باريس لمن يملك كثيرا من المال

وقد قال انطوان انه لا يحب غير الكتب ، وانه سينجح ذات يوم فى عالم النشر

والحق ، انه لم يكن فى تلك السهرات ، يحس بالحماس الا اذا وجد أحدا يحدثه بجدية عن الادب

وحدثته ديانا ذات يوم ، كعاشقة متحمسة ، عن جائزة جونكور ولكنه ادعى أنه لا يجيد الكتابة ، فأصرت على ان تقول له :

ــ اننى على يقين ، لو انك حاولت ...

انظر الى هذا الكاتب ..

وصرخ انطوان ، وكان لا يصرخ مطلقا :

ــ مستحيل . مستحيل

سينتهى به الامر ان يصبح مجرد مراجع للكتب عند رينوار ، لا يتقاضى سوى ٢٠٠ ألف فرنك فى الشهر ، وسيظل يبـكى على سارة خلال خمسين عاما

لكنها رغم ذلك ، ما زالت تحبه

لقد امضت ليلة مسهدة بعد العشاء : فقد عاد انطوان فى الفجر ، مخمورا بالقطع ، والى بيته ٠ وأخذت تتصل به تليفـونيا ، كل ساعة ، لمجرد أن تسمع صوته ، ثم تقطع المكالمة ٠٠

وفى السادسة والنصف صبـاحا ، وضع السماعة وهو يقول بصوت طفولى :

انا نائم

و[illegible] خاطره أن يسأل عن الذى يحدثه

لابد انه أخذ يجوب بارات سـان جرمان ، ولعله كان يصحب لوسيل معه

لكن عليها الا تحدثه عن لوسيل

وعليها الا تذكر الشىء الذى تخاف منه

وفى اليوم التالى ، اتصلت بكلير ، تعتذر لها على مغادرتها السهرة فجاة ، وادعت انها كانت تحس بصداع شديد

وقالت كلير ــ مجاملة ومواسية :

ــ لقد كان يبدو عليك التعب فعلا

وقالت ديانا ببرود :

ــ لن يعود الى شبابى . وهذا الشباب مرهق حقا

وكادت كلير تضحك

فهى مولعة بالغمزات ، ولا أحد يستطيع الحديث بدقة عن فحونة العشاق سوى امراة عصرية تحدث امراة مثلها

وذكرتا بعض المحامد فى صفات انطوان . وغضبت كلير قليلا . ولم تتحدث ديانا ، فبدأت كلير بالهجوم

ــ هذه الصغيرة لوسيل قلقة بضحكاتها المجنـونة التى تشبه ضحكات طالبات المدارس الداخلية . الا تبلغ الثلاثين تقريبا ؟

وقالت ديانا :

ــ ان عينيها خضراوان جميلتان ٠ ولعل هذا هو ما يسلى عزيزنا شارل

وتنهدت كلير :

ــ عامان معها ! هذا عمر طويل !

ــ بالنسبة له ايضا ، يا عزيزتى

وبهذه الخاتمة ، انفجرتا بالضحك ، وانتهت المكالمة . وظنت ديانا انها استطاعت تخفيف أثر الحادث . ولكن كلير ، كانت تستطيع أن تقول لنفسها ان ديانا ، الشهيرة بالنزوات ، قد اتصلت بها فى الظهر لمجرد الاعتذار

ولاشك أن ديانا نسيت هـذا المبدأ الاسـاسى فى باريس ، بأنه لا ضرورة للاعتذار مطلقا عن أى شىء تفعـله ، ما دامت تفعـله عن رغبة ورضا

ودعا جونى ، بناء على تعليمات كلير ، شارل بلاسـان لينير فى افتتاحية احدى المسرحيات ، التى دعيت اليهـا ديانا بالطبع . واتفقوا على أن يذهبوا بعد المسرح « الاصدقاء فقط » ــ للعشـاء فى أحد الاماكن

وكانت كلير تحس فوق المتعة التى ستنعم بها من اجتماع لوسيل بأنطوان ، أن شارل سيدفع حتما ثمن العشاء

فجونى كان مفلسا تماما فى ذلك الوقت ، ولا يمكن أن يتركوا ديانا تدفع ، ولم تتذكر أن عليها أن تدعو رجلا اضافيا من الاثرياء، وهو نوع من الرجال أصبح نادرا ، فى هذا العصر الذى لم يعد يحفل فيه بالدعوات الفاخرة ، الا رجال يدعون رجالا آخرين

ومع ذلك فالمسرحية ستكون مسلية بلا شك ، لان مؤلفها بيجو ديبوا •• وديبوا يعرف حرفة المسرح جيدا

وقالت كلير لجونى فى التاكسى الذى يقلهما الى مسرح الاتيلييه

ــ ماذا تريد يا عزيزى . اننى لم أعد أطيق مسرحك الحديث . حين أرى هؤلاء الممثلين ، يجلسون فى الفوتيات ، يكررون كلامهم عن الحياة ، أموت من شدة الضجر . ولا اخفى عليك اننى أفضل عليهم مسرح البولفار

هل تسمعنى ، يا جونى ؟

وهز جونى رأسه ، وكان قد سمع هذه الخطبة للمرة العاشرة منذ افتتاح الموسم المسرحى

لكن كلير كانت فاتنة ، غير أن حيويتها كانت تتعبه ، فأحس فجأة بالرغبة فى أن ينزل من السيارة ، وأن يسير فى شارع كليشى ، ليتجول بين الخلق ، ويأكل البطاطس المحمرة فى طبق من الورق ، وأن يضربه احد البلطجية

وكانت مؤامرات كلير تبدو له دائما ساذجة ، وكان يندهش لنجاحها

وفى ميدان وانكور أخذ المدعوون يدورون فى دائرة ، ويتصافحون وهم يؤكدون أن هذا المسرح هو أجمل مسارح باريس ، وأن الميدان يشبه ميادين الارياف

وخرجت لوسيل من أحد المقاهى ، يحرسها شارل ، وجلسا فوق أحد المقاعد الكبيرة يأكلان ساندوتشا ضخما •

وبعد برهة من التبكيت ، جلس آخرون يفعلون مثلهما • ووصلت سيارة ديانا فى هدوء ، وتوقفت بالصدفة تماما الى جوار المقعد فى الشارع • وخرج منها أنطوان ، ثم صحب ديانا للخروج ، وعاد [illegible] لوسيل ، وفمها ملىء ، تبدو عليها السعادة ، وشارل يبدو [illegible] قد نهض ليحيى ديانا

[illegible]

[illegible] ؟ أى فكرة رائعة

ونظرت بسرعة ، فلمحت أوميه دى جيلت ، ودودو ويلسون ، ومدام بيرت ، وقد جلسوا مثلهم فوق مقاعد الشارع

ــ الساعة الان التاسعة

ولن يبدءوا قبل ربع ساعة • أنطوان ، لتكن رقيقا ، واجر الى المقهى ، اننى ميتة من الجوع

وتردد أنطوان قليلا ورأته لوسيل ينظر الى المقهى • ثم الى ديانا ، ثم يحرك ذراعيه مستسلما للقدر ، ويعبر الشارع

ودفع باب المقهى

وفجأة رأى صاحب المطعم يدور من خلف البنك ، ثم يصافح أنطوان ، وقد بدت عليه الدهشة • وجاء الجارسون بدوره • ولم تعد ترى غير ظهر أنطوان • وبدا كأنه يتراجع ويترنح ، وكأنه يتلقى عدة ضربات • وتذكرت فجأة : ساره • نفس المسرح ، والبروفات ، والمقهى الذى كان ينتظرها فيه • والتى لم يعد اليها مطلقا

وقالت ديانا :

ــ ولكن ماذا يفعل أنطوان • هل يسكر بمفرده ؟

وعادت ورأت أنطوان الذى يحاول الخروج من الباب ، مرتدا على عقبيه وكأنه يعتذر عن عدم مجيئه بالسندويتشات • وظهرت صاحبة المحل أيضا ، وهزت رأسها ، وأمسكت بيد أنطوان • ولابد أنه كان يعابثها ، فى الايام الخوالى ، وهو ينتظر ساره • لا شك أن حياته كانت تغمرها السعادة ، أثناء البروفات • فالمقهى لا يبعد كثيرا عن المسرح

وقالت ديانا : ماذا دهاه ؟

وقالت لوسيل دون أن تنظر اليها : ساره !

وأحرجها الاسم

لكن ينبغى الصمت ، وعدم سؤال أنطوان عن أى شىء

ووصل اليهم ، ووجهه أملس كوجه أعمى

وفهمت ديانا فجأة ، واتجهت الى لوسيل التى تراجعت خطوة ، وكأنها أحست أن ديانا تريد أن تلطمها

اذن هذه الفتاة تعرف هذه القصة أيضا

ليس هذا من حقها • ان أنطوان يخصها • ضحكاته • وأحزانه معا

لقد كان يحلم بساره ، فى الليل من فوق كتفها ، وهى وحدها التى يحق لها أن تذكره بساره

وضربت أجراس المسرح · فأمسكت بذراع أنطوان ، وسحبته وترك أنطوان نفسه غائبا

وحيا في أدب بعض النقاد ، وبعض أصدقاء ديانا · وساعدها على الجلوس · وسمعت ضربات المسرح الثلاث · وفي الظلام ، مالت عليه لتقول :

— عزيزي المعذب ··

وأمسكت بيده ، فتركها لها



— ٦ —

وفي الاستراحة ، انقسم الفريق الى مجموعتين · وتبادل لوسيل وأنطوان الابتسام من على بعد ، ولاول مرة زاد اعجابهما المتبادل · ونظر اليها وهي تتحدث وقد استندت على كتف شارل القوى ، واجتذبته انحناءة فمها الساخرة قليلا ، واستدارة رقبتها ، فأحس بالرغبة في أن يخترق الزحام ليقبلها

لقد مضى وقت طويل لم يحس بالرغبة — من على بعد — في امرأة مجهولة

والتفتت لوسيل في هذه اللحظة ، والتقت بنظرة أنطوان ، فتجمدت في مكانها ، لانها تعرفت على معنى نظرته ، ثم حيته بابتسامة مرحبة

انها لم تفكر مطلقا في جمال أنطوان ، وكان لا بد من أن يرغبها ويشتاق اليها ، حتى يتجلى له جمالها

لقد ظلت طوال حياتها هكذا ، لا تهتم — لمجرد صدفة سعيدة ، أو لمجرد الخوف الذي يكاد يكون مرضا من مصادفة العقبات فأصبحت لا تهتم الا بالمخلوقات التي تبدي اهتماما بها

والان ، وقد أدارت له ظهرها ، أصبحت ترى فمه الجميل ، ولون عينيه الذهبي ، وتساءلت في نفسها أي مبالغة جعلتها لا تقبله في ذلك المساء الذي صحبها فيه ، وأحس شارل بها وهي تبتعد عن كتفه فنظر اليها ، ولاحظ عليها هيئة التفكير المليئة بالعذوبة والتي لا تخلو من الاستسلام ، والتي تبدو عليها اذا رأت أحدا يعجبها

فالتفت شارل ليرى أنطوان

وعند انتهاء المسرحية ، عادت الشلة ، وجنت كلير بالمسرحية ، وجنت من مجوهرات مهراني هندية ، وجنت من لطافة الطقس ، فأخذت تهذي من الاعجاب بكل شيء

ولم يتفقوا على انتقاء مطعم · وأخيرا ، اتفقوا على الذهاب الى « مارن » لان كلير يسعدها العشاء في نسمة الليل ، وعلى الحشائش الخضراء

وكان سائق ديانا ينتظر ، فاقترب شارل فجأة نحوها :

— ديانا ، أرجوك أن تصحبيني معك · لقد أتينا في عربة لوسيل ، وأحس أنني أصبحت الليلة عجوزا ، ومزكوما · ائتمنيها على أنطوان

ولم تتحرك ديانا ، ولكنها سحبت عليه نظراتها المندهشة ، والتى لم تعد تفهم شيئا

وقالت ديانا :

ـ بكل تأكيد . الى اللقاء يا أنطوان

لا تسق بسرعة كبيرة

وركب أربعتهم فى الرولز . ووقفت لوسيل وأنطوان على الرصيف مندهشين ولم يلتفت اليهما شارل ، ولا ديانا . وغمزت لهما كلير بعينها ، فتجمدا وتظاهرا بأنهما لم يلحظاها

كانت لوسيل تفكر . فمن طبيعة شارل أنه يحب تعذيب نفسه ، ولكن كيف أحس بهذه الرغبة التى اعترتها منذ ساعة ، ولم تستطع تحديدها ؟

ياله من ضجر . انها لم تخن شارل الا مع صبية تعرف انها لن تقابلهم من جديد . واذا كان هناك شىء تحتقره ، فهو اتفاق عاشقين من وراء شخص ثالث ، أو تلك الضحكات المتسلية التى يطلقها شهود هذا الموقف .. كما ضحكت كلير الان

انها لا تريد أن تصل الى هذا الحد

ووضع أنطوان يده على كتفها ، فهزت رأسها . على أى حال ، فالحياة ناعمة ، والجو صحو ، وهذا الصبى يعجبها

ان عدد المرات التى قالت فيها لنفسها « سنرى ما يحدث فيما بعده كثير جدا فى تلك السنوات الثلاثين التى أمضتها من العمر

أخذت فى الضحك

وسألها أنطوان : لماذا تضحكين ؟

ـ أضحك من نفسى . العربة هناك ، أين وضعت المفاتيح ؟

هل تسوق أنت ؟

وقاد انطوان السيارة . ولم يتحدث

ظلا يتنسمان هواء الليل فى عربتها المفتوحة ، وهما مضطربان

وكان أنطوان يسير بهدوء ، وفى ميدان « لتوال » التفت اليها :

ـ لماذا فعل شارل هكذا ؟

وأدركا على الفور بهاتين الكلمتين ، وبتبادل هذه النظرة المضيئة أثناء الاستراحة ، انهما ارتبطا بشىء لا يمكن الرجوع فيه .

كان يمكن أن تقول مثلا : ماذا .. هذا ؟ وبهذا السؤال تفسر تصرف شارل على أنه قرار رجل عاقل مزكوم

لكن انتهى الامر . لم تعد تحس بأدنى رغبة سوى فى الوصول الى المطعم بأسرع ما يمكن . أو أن يتخبط أنطوان فى قيادته ، أو أن

يخطر له أى خاطر دنىء ، فتستطيع التخلص منه على الفور

لكن أنطوان لم يقل شيئا . وعبرا الغابة . وسارا فى محاذاة السين ، وكانا يبدوان كعاشقين من عشاق الشباب الذهبى فى هذه الكابريولية العالية الصوت . كأنها وريثة ديبون صاحب مصانع النسيج ، وهو وريث ديبوا صاحب مصانع السكر ، وكأنهما سيتزوجان فى خلال ثمانية أيام فى « شايو » ، وقد باركتهما العائلتان ، وسينجبان طفلين كذلك

وقال أنطوان وهو ينحرف نحو « مارن » :

ـ مازال هناك كوبرى

ما عدد الكبارى التى عبرناها معا ؟

وكان هذا أول تلميح فى أمسيتهما . وتذكرت لوسيل فجأة أنها ظلت مختبئة فى جاكتته ، وهما فى ذلك المقهى الصغير . لقد نسيت تماما . فاضطربت

ـ هذا صحيح .. نعم .. فعلا

وهزت يدها ، وأمسكت يد أنطوان بيدها وهى طائرة .

أمسكها برفق وأبقاها . وفكرت لوسيل « ماذا ؟ انه يمسك بيدى لنعبر الغابة

انه الربيع . ولا شىء يدعو الى الجنون . ولم أعد فى السادسة عشرة ..

لكن قلبها نبض بعنف ، وهيىء لها أن دمها ينفض من وجهها ، ويديها ، ويحتبس فى حلقها ، ويخنقها

وحين أوقف السيارة ، لم تعد تستطيع التفكير فى وضوح .

أمسكها بين ذراعيه ، وقبلها بخشونة . ولاحظت أنه يرتجف كما ترتجف . ونهض ، ونظر اليها ، فأسلمت له نظرها

ولم تتحرك حتى عاد اليها . فقبلها ببطء ، وجدية ، وأخذ يقبل جفنيها وخدها ، وعاد الى فمها ، ونظر الى وجهها الهادىء ، المتنبه من تحت كتفه

فأدركت انه سوف يراها هكذا مرات أخرى

انها لن تستطيع معه شيئا

كانت قد نسيت انه يمكن اشتهاء احد الى مثل هذا الحد

كان لابد لها أن تحلم

كم من الوقت ؟ عامان . ثلاثة أعوام ؟ !

ولكنها لن تستطيع تذكر اى وجه آخر غير وجهه

وقال صوت انطوان المضطرب :

ماذا يحدث لى . ماذا يحدث لي ! ..
وابتسمت .وأحس انطوان بخـــد لوسيل يلامس خـــــده ، فابتسم أيضا

وقالت بصوت خفيض : يجب أن نعود

وقال أنطوان : لا ، لا

وبعد برهة ، ابتعد عنها ، وفاق عذابهما كل حد .

وسار انطوان بسرعة ، وأصلحت لوسيل ماكياجها فى محطة كانت الرولز قد وصلت قبلهما . وأدركا أنه كان من الممـكن أن تمر الرولز على سيارتهما ، أو أن تفاجئهما بضوئها الذى يشبـــه طائرين من طيور الليل

لكنها كانت تتربع هنـــاك ، فى الميدان الصغير ، رمـزا للجاه ، والرفاهية .. والكابريولية الصغيرة مركونة جوارها تبدو صـغيرة هشة

واخذت لوسيل تمسح « المكياج » من فوق وجههـا . وكانت تحس بالارهاق الشديد ، وهى تنظر الى الخطوط الصغيرة التى بدت واضحة الى جوار جفنيها ، وتمتد على حافة ثغرها .

تساءلت فى نفسها ، ماذا تعنى تلك الخطوط ! من أين أتت . ومن ، وما سبب ظهورها . لم تكن هذه الخطوط ــ بالتأكيد ــ ثمرة العاطفة المتوهجة . ولا خطوط المجهد . لاشك انها علامة الرفاهية. واللامبالاة والاستهتار

وفى لحظة ، تراءى لها رعب فظيع . ومرت بيدها على جبهتها ، كما اعتادت مرارا منذ عام تقريبا ، كلما أحست بالقرف من نفسها

لابد ان تذهب الى طبيبها . فربما اصابها مرض . وربما كانت تحتاج الى مزيد من أقراص الفيتامين ، وقد تستمـر على ذلك ، فتفقد عمرها (أو تحلم بها) بمنتهى البهجة

وسمعت نفسها ، وهى تصرخ لنفسها غاضبة ، كأنها تحدث شارل :

ــ شارل ، لماذا تركتنى اذهب مع انطوان ؟

كانت تعلم فى نفس الوقت انها تبحث عن شيء ينفجر ، عن دراما، عن أى شيء يختلف عن هذا القرف الهادىء

ان شارل سوف يدفع الثمن . وشارل هو الذى يتعذب اذا كانت لا تحب غير المتناقضات ، فهذا شيء . اما أن تجعل الآخرين يتحملون نتائج ذلك ، فهذا شيء آخر . على أى حال يكفى انها نطقت بكلامها

ولم تدرك ، للوهلة الاولى ، انها نطقت بسؤالها بصوت عال حتى ان شارل سمعها ، وهو يخلع ملابسه فى هدوء فى غرفته الخاصة . وفكر لحظة ، اذ كان من شدة التعب ، يمضغ سؤالها ، ثم قال :

ــ لقد كنت « مزكوما »

ولم تتشبث بالسؤال . ان البحث عن الحقيقة ، وهذه اللحظات التى تمر به تؤدى به الى لا شيء

ولكن رغبة جامحة اجتاحته ليعرف ، ليتعذب ، فقد اعتــاد من زمن طويل ــ أى منذ عشرين عاما ــ على فقدان الاحساس بالامن بالضبط ، كما اعتاد ان يتجاهل بمهارة مغامرات عشيقاته

قال لها :

ــ كنت أظن ان هذا ينال رضاك

ولم يلتفت . واستمر ينظر الى المرآة . واندهش لأنه بدا سليما معافى لم يتغير لون وجهه

ــ هل قررت أن تلقى بى فى أحضان اى رجل يعجبنى ؟

ــ لا تحاسبينى أنا . ان هذا الحساب نذير بشيء

وكانت قد عبرت الغرفة قبل أن يكمل كلامه ، واتجهت نحوه ، وأحاطت رقبته بذراعيها ، وهى تهمس باعتذارات لم يتبين الفاظها، ولم ير فى المرآة ، فوق كتفها سوى شـــعرها الغـــامق ، وفكها الطويل يستند على كتفه ، وأحس بوخز فى قلبه ، لقد عاوده الالم. نفس الالم

ــ « هذا بالضبط ما أحبه . هذا بالضبط مالا استحقه .سوف تهجـرنى » كيف يمكن فى مثل هـذه اللحظة بالذات ، أن يحس الانسان أن يحب شعرا آخر غير هـذا الشعر ، ومخلوقة أخرى غير هذه المخلوقة

ولكن لا يغذى الحب ويقويه سوى الاحساس بانه شيء لا حيلة لنا فيه

وقالت لوسيل :

ــ لم أرد أن أقول ذلك بالضبط ، ولكننى لا أحب ..

وقال شارل ، وهو يعود اليها :

ــ انك لا تحبين على سبيل المجاملة . ولكن تأكدى اننى لست من ذلك النوع . انما أردت ان اتأكد من شيء أريد التحقق منه وهذا كل شيء

ــ من أى شيء تحققت ؟

ــ من هيئتك وانت تدخلين المطعم . وطريقتك فى تجنب النظر

اليه . اننى أعرفك . انه يعجبك

وابتعدت لوسيل عنه . وقالت :

ـ ... ثم ماذا ؟ الا يمكن أن يعجب بأحـد ، دون أن يسبب للآخرين الآلام ؟ .. ألا يمكننى أن أعرف الاستقرار ذات يوم ؟ ومـا نوع هذه القوانين التى تطبقها ؟ وماذا تعنى الحرية ؟ .. فى..فى..

وتلعثمت ، وتعثرت كلماتها ، وأحست أن أحدا لا يفهمها ..

وابتسم شارل ليقول :

ـ انا لم أفعل شيئا فى حريتى . انت تعلمين تماما اننى متيم بك . أما بالنسبة لحريتك انت . فيبدو لى انك معجبة بأنطوان . هذا كل ما فى الامر . ولست أدرى اذا كان هذا الاعجاب سيؤدى بعد ذلك الى خطوة ما . لست أدرى ، ولا أستطيع عليك شيئا !

وتمدد شارل على السرير ، وهو فى روبه . وتسمرت لوسيل واقفة

فنهض على حافة السرير

وقالت لوسيل شبه حالمة :

ـ هذا حق . انه يعجبنى

وتبادلا النظرات

وقالت لوسيل بسرعة :

ـ لو حدث ذلك ، فسوف تتعذب

واجاب شارل :

ـ نعم . لماذا ؟

ـ لاننى لولا ذلك لهجرتك . ونامت نصف نومة على السرير وهى تسند رأسها بيـدها ، وقد قربت ركبتها من ذقنهـا ، وكشفت وجهها . وبعد دقيقتين ، كانت تنام وقاسى شارل بلاسان لينبير من مقاسمتها الغطاء بعدالة



ـ ٧ ـ

حصلت لوسيل على رقم تليفون أنطوان من جونى ، واتصلت به صباح اليوم التالى

وفى الرابعة بعد الظهر التقيا فى غرفته التى تتراوح بين غرفة طالب وغرفة رجل جاد ، فى شارع دى بواتييه

ولم تر الغرفة أول الامر ، لم تر سوى أنطوان الذى احتضنها دون أن يتكلم ، ودون أن يرحب بها بكلمة واحدة ، وكأنه لم يتركها منذ كانا فى حديقة سان كلو

حدث لهما ما يحدث لكل رجل وامرأة يرتبطان بالحريق .

سرعان ما ينسيان انهما كانا من قبل يعلمان شـيئا عن المتعة .

وينسيان حدود جسديهما ، ويصبح تعبير : الخجل ، والجرأة مجرد تعبيرين مجردين

فمجرد التفكير فى أنهما سوف يفترقان بعد ساعة أو ساعتين كان يبدو فكرة غير أخلاقية تستحق الاحتجاج ، وأصبحا على يقين من أن أى حركة يأتيها أحدهما لم تعد تضـايق الآخـر ، وكانا يتمتمان بكلمات فجة ، مضطربة .. كلمات الحب الجسـدى والكبرياء ، والامتنان للذة الممنوحة ، والمقبـولة ، التى تلقى بكل منهمـا فى أحضان الاخر .

كانا يعلمان كذلك أن هذه اللحظة استثنائية ، وأن لا شىء يعادل أن يمنح الانسان فرصة اكتشاف من يكمله

وهكذا ، أصبحت العاطفة الجسدية على غير ما توقعا ، وما كان يمكن أن يجعل العلاقة ، بينهما علاقة عابرة ـ أصبح يرسم لهمـا قصة حقيقية

وأظلمت السماء ، ورفضا أن ينظرا الى الساعة .

وأخذا يدخنان ، ورأساهما مائلان . وبقيت عليهما رائحة الحب والاختلاط ، والتنفس ، كأنهما مقاتلان أتعبهما القتال والنصر

كانت الملاءات تحملق فيهما ، ويد أنطوان على رجل لوسيل

وقالت لوسيل :

ـ لن أستطيع لقاءك دون أن أحس بالخجل ، ولا أستطيع رؤيتك تغادرنى دون أن أحس بالالم ، ولن أستطيع التحـدث معك أمام

حاضرين دون أن أرخى عيونى
ووضعت رأسها فوق ذراعها ، ونظرت الى النافذة الضيقة .
ووضع أنطوان يده على كتفها
كان ظهرها مستقيما وناعما . وأحس أن عشر سنوات تفصله عن ديانا .. بل الحياة كلها . وقبض يده ، فى اللحظة التى تحولت فيها اليه ، وأمسكها من تحت وجهها بما يشبه القسوة ، فالتصق فم لوسيل ببطن يده ، وأمسكت أصابعه بوجهها ، وكأنهما كانا يقسمان بأن يقضيا آلاف الساعات المماثلة .. دون أن ينطقا بكلمة واحدة



- ٨ -

قال جونى لانطوان . وهما فى حفل الكوكتيل :
ـ لا تكشر هكذا . يا عزيزى . وكأنك تشهد فيلما مرعبا .
ووضع جونى كأسا فى يد أنطوان ، الذى كان يبتسم بطريقة آلية دون أن يسقط نظره عن الباب .
لقد مرت ساعة . وأوشكت الساعة أن تقترب من التاسعة ولم تحضر لوسيل .. ماذا حدث ؟
لقد وعدته بالحضور . انه يتذكر صوتها وهى تقول على عتبة باب غرفته : « غدا ، غدا » ..
انه لم يرها منذ ذلك الحين ، لعلها كانت تسخر منه .
انها تعيش تحت رعاية بلاسان لينير ، وهى تستطيع أن تجد شابا مثله فى كل مكان
لعله كان يحلم ببعد الظهر ، البارحة ، التى اختلط فيها السواد والحمرة ، بينما لم تكن ترغب فى شىء سوى تمضية الوقت مع شاب كما تفعل الاخريات
ولعله أيضا سخيف ومدع
ودفعت اليه ديانا بالمضيف ، صاحب الدعوة ، واذا به أمريكى « مجنون بالادب » ، وقالت بلهجة قاطعة :
ـ ويليام ، انك تعرف أنطوان : (وكأن أحدا لا يستطيع اكتشاف أنه عشيقها)
قال ويليام ، وهو يبتسم ابتسامة تقدير :
ـ بالطبع
وكاد أنطوان ينفجر من الغيظ ، وكأنه يقول لنفسه :
ـ لعل هذا الامريكى سوف يرفع شفتى العليا ، ليرى أسنانى
وقالت ديانا :
ـ ويليام يحكى لى أشياء مدهشة عن سكوت فتزجرالد
لقد كان صديقا لوالده . ان انطوان يعشق فتزجرالد . لابد أن تحكى له كل ما عندك ... كل شىء ..
وضاعت بقية الجملة

لم يسمعها أنطوان ، لان لوسيل دخلت • وجالت عينـــاها فى
الصالون • كان يبدو عليها ، أنها قبل مجيئها ، منذ خمس دقائق ،
كانت تحس مثله تماما ، بنفس الاحساس بالفزع
ورأته ، فوقفت دون وعى ، ثم تقدم خطوة منها
وأحس أنطوان بشىء من الدوار :
« سوف أتقدم نحوها ، وآخذها بين ذراعى ، وأقبلها فى فمها ،
وليذهب الجميع الى الجحيم »
وأحست لوسيل بقراره • وفى ثانية ، كان يمكن أن تتركه يفعل
ما يريد • لقد طال الليل ، وطال النهار ، وطال تأخر أنطوان ، حتى
أنها خشيت بطوال ساعتين ، أن تصل متأخرة الى الحفلة
وظلا وجها لوجه ، كما كانا فى المحطة ، وفجاة استدارت ، بحركة
عنيفة ، حركة فيها معنى العجز واليأس • انها لا تستطيع أن تفعل
ذلك ، وحاولت أن تقول لنفسها انها لا تفعل ذلك انقاذا لشارل ،
ولكنها أدركت أن السبب هو الخوف
وكان جونى الى جوارها • يرمقها فى هدوء واشفاق باسما
فردت اليه الابتسامة • وتقدم اليها ، وأخذها من ذراعها ،وسحبها
الى البوفيه • •
وقال جونى :
ـ لقد أخفتنى !
ـ لماذا ؟
ونظرت اليه فى العينين • من المستحيل أن تبدأ القصة • ليس
هكذا مبكرا • « فيظهر الشركاء ، والاصدقاء ، والذين يعرفون
الاسرار ، والذين تحطمهم الغيرة » • مستحيل
وهز جونى كتفيه
وقال برقة :
ـ اننى أحبك • وأنت تسخرين ، ولكننى أحبك جدا •
وهزها شىء ما فى صوته ، فنظرت اليه • لا شك انه وحيد جدا •
ـ ولماذا أسخر منك ؟
ـ لأنك لا تهتمين الا بما يروق لك • وما عدا هذا يضايقك •
أليس كذلك ؟ على أى حال ، فليست مجموعتنا رديئة • وسيسمح
لك ذلك بأن تبقى مدة طويلة لا يقلقك أحد •
كانت تسمعه دون وعى
فقد اختفى أنطوان وراء رءوس المدعوين فى نهاية الصالون
أين أنت ؟ « أين أنت أيها الاحمق ، يا عاشقى ، يا أنطوان • أين

أخفيت جسدك النحيل ، وماذا تجديك عينـــاك الذهبيتان ؟ اذا لم
ترنى ، هناك على مسافة لا تزيد عن عشرة أمتار يا أحمق • يا أحمقى
العزيز »
واجتاحتها نوبة من الحنان • • ماذا يقول جونى ؟
انها بكل تأكيد لا تحب الا ما يرضيها ، وما يرضيها هو أنطوان •
وكان يبدو انه منذ سنوات ، ولاول مرة أمسك بدليل على ذلك
وأخذ جونى ينظر الى هذا « الدليل » بمزيج من الحزن والحسد
صحيح أنه يحب لوسيل جدا ، ويحب طريقتها فى الصمت ،
والملل ، والضحك •
والآن أخذ ينظر الى هذا الوجه الجديد ، الشاب ، الطفولى ، الذى
يكاد يكون بدائيا من شدة الرغبة ، وتذكر أنه منذ وقت بعيد ، كان
يحس بالرغبة كذلك فى شخص يفضل العالم أجمع
انه روجيه • نعم لقد كان يرى روجيه هكذا ، وهو فى الصالونات
كان يحس أنه توقف عن الحياة ، وأن الحياة تعود اليه
أين كانت الحياة ، وأين كان الحلم فى هذه القصص الغرامية ؟
على أى حال فان هذا الانطوان الصغير لم يضع وقته • لانه لم يطلب
منه رقم تليفون لوسيل الا منذ يوم واحد فقط ، لقد طلب منه الرقم
بهدوء ، رجلا لرجل
والغريب ، أن ينعقد بين لوسيل وجونى نوع من المشاركة ، لان
جونى لم يفكر مطلقا فى افشاء هذا السر ، واخبار كلير بقصـــة
التليفون • هناك أشياء صغيرة لا يفعلها جونى • والله يعلم رغم ذلك
كم أن الحياة عزيزة •
ولم تلحظ ديانا حركة انطوان ، لان فســـتانها لحسن الحظ
اشتبك بطرف المائدة فى نفس اللحظة التى دخلت فيها • واندهش
ويليام من هذا الشاب الذى لم يكد ينطق له باسم سكوت فتزجرالد
حتى هرب من أمامه !
وتسرب انطوان سريعا من الجمع ، ليساعد ديانا على فك فستانها
ولم يخل الامر من سقوط بعض الترتر
وصاحت ديانا بما يشبه الهمس :
ـ يداك ترتعشان •
وكانت ديانا تحدثه بصيغة الجمع فى الحفلات ، لمجرد انهـــا
تريد أن تكلمه فى بعض الاحيان بصيغة المفرد ، متظاهرة بانهـــا
مجرد صدفة • لكن انطوان لاحظ انها اكثرت من محادثته بصيغة
المفرد أكثر من مرة
وضاق بها • وزاد ضيقه منها منذ يومين بالذات

لقد أصبح ينعى عليها نومها ، وصوتها ، وأناقتها ، وحركاتها .
بل وينعى وجودها نفسه . وينعى أنها لم تعد بالنسبة له الا وسيلة لدخول الصالونات التى تظهر فيها لوسيل حتى يراها . وضاق بنفسه

ونعى عليها أيضا انه لم يعد يستطيع أن يلمس ديانا بيديه

واضطربت ديانا لذلك . لقد كان منتظما معهـا فى مزيج من الشهوة العارمة وعدم الاكتراث . ولم يكن يعرف ان هذا الخلل كان يحرك فى نفس ديانا بعض الامل ، بقدر ما تخاف ذلك العاشق المنتظم ، الصامت ، البعيد عن الخيال .

فالعشق يتغذى على كل شيء ، حتى على ما يعارض رغباتها

وتلفت أنطوان يبحث عن ديانا بعينيه . كان يعلم انها هناك

وأخذ ينظر بخوف الى الباب ، وهو يخشى أن تغادر المكان ، دون أن يراها ثانية ، وأفاق على صوت شارل ، فتحول اليه ، وسلم بيده على لوسيل التى كانت تبتسم ، فتملكه احساس بالنصر ، والسعادة الغامرة ، احساس كان يتملكه تماما ، فلم يتمالك من فرط الانفعال الا أن يسعل ليخفى تعبيرات وجهه .

وقال بلاسان لينير :

ـ ديانا .. هذا هو وليام الذى يملك سيارة بلوندينى التى حدثتك عنها منذ ايام . ويليام ، لابد أن تفرجها عليها .

وفى لحظة ، تقابلت نظرة انطوان بنظرة شارل قبل أن يبتعد وخلفه ويليام وديانا .

كانت النظرة زرقاء قلقة . تحمل كل معانى الامانة

فهل يعانى من شيء ؟ .. هل يشك فى شيء ؟

لم يطرح انطوان بعد هذا السؤال على نفسه . انه لم ينتبه من قبل الا الى ديانا ، ولم يعبأ بها الا قليلا

فمنذ موت سارة ، لم يطرح على نفسه أى سؤال حول أى شخص

وهو الان يجد نفسه وحيدا ، وجها لوجه أمام لوسيل ، يسألها فى صمت : « من انت ؟ ماذا تريدين منى ؟ ماذا تفعلين هنا ؟ ماذا اكون لك ؟ »

قالت لوسيل :

ـ « ظننت اننى لن أصل أبدا »

وخطر لها فى نفسها : « اننى لا أعرف عنه شيئا . لا شيء سوى طريقة مطارحتى الغرام ، فلماذا كل هذا الوجد والاشتعال؟ لعل هذا يرجع الى خطأ الاخرين . لو اننا كنا احرارا ، لا يراقبنا أحد ، لكنا اكثر هدوءا ، واقل اشتعالا . »

واحست للحظة بالرغبة فى أن تدير ظهرها له ، وأن تذهب لتنضم للشلة التى تتحدث عن سيارة البلندينى .

أى مستقبل ينتظرها من الاكاذيب ، والتسرع ؟

أخذت السيجارة التى قدمها لها انطوان ، ووضعت يدها على يده التى تقدم لها عود الثقـاب . أحست بالدفء ، وملمس يده ، فاخفضت جفنيها ، مرتين ، كأنها تقسم قسما صامتا .

وقال أنطوان فى لهفة :

ـ « ستأتين غدا ؟ فى نفس الساعة ؟ »

وهيىء له أنه لن يستريح ثانية واحدة قبل أن يعرف بالضبط متى سيضمها الى صدره من جديد .. ووافقت

فانتابت انطوان موجة من الهدوء ، وان تساءل فى قرارة نفسه اذا كان هذا الموعد لا يهمه فى شيء .

لقد قرأ أنطوان كتبا كثيرة ولم يكن يظن أن القـلق ـ أكثر من الغيرة ـ هو الذى يشعل العواطف .

كان متيقنا انه يكفى ليمد يده ، ليجذب اليه لوسيل . وسط هذا الصالون ، حتى تنفجر الفضيحة ، ولا يمكن اصلاح شيء ، ولهذا السبب بالذات لم يجرؤ على ان يمد يده ، وأن يتمتع بشيء اخر ، غامض وحيوى ، وهو : التنكر

وقالت كلير سانتريه بصوت جعله يقفز من مكانه :

ـ ايها الفتيان ؟ ماذا صنعنا بأصدقائنا ؟

واعتمدت كلير على كتف لوسيل ، وحدقت فى انطوان بنظرة تقدير وكأنها تتخيل نفسها مكان لوسيل

وفكرت لوسيل .. والان ، نعرض عليكم نمرة « مؤامرة النساء»

ودهشت أنها لم تنصت لهذه المؤامرة

حقا ، لقد كان انطوان جميلا على هذا النحو المضطرب الحاسم فى نفس الوقت

ولابد ان يكون تائها حتى يكذب مدة طويلة . فلقد خلق ليقرأ ، ويسير فى خطا طويلة ، ليطارح الغرام ، ليصمت ، لم يخلق للمجتمع

وهو يشبهها فى عدم اكتراثها ـ وان كانت تفـوقه أحيانا ـ بالطقوس الاجتماعية

وقال انطوان بصوت خشن :

ـ هناك سيارة بلندينى عند المدعو ويليام

ديانا وشارل يفكران .

واكتشف أن ينطق اسم بلاسان لينير الاول

فخيانة أى شخص ، تضطرك الى نوع من العشم .
وصاحت كلير :
– بولنديني ؟ انها اخر طراز . كيف عثر عليها ويليام ؟
وقالت بصوت يلونه الغضب : لم أكن اعرف .
وكأنها تغضب لاكتشاف خلل بسيط فى شبكة معلوماتها .
لابد أنهم سرقوا المسكين ويليام . لا يوجد غير الامريكيين ، هم الذين يشترون سيارة بولنديني دون أن يستشيروا سانتوس
وركزت اهتمامها على لوسيل بعد أن أقلقتها حماقة المسكين ويليام ، وعدم احتياطه . لعل الوقت قد حان لكى تدفع هذه الصغيرة ثمن رعونتها ، وصمتها ، ورفضها لمشاركة أحد فى لعبتها .

كانت لوسيل ترفع بصرها تجاه انطوان ، وكانت ابتسامتها هادئة ، متسلية ، مطمئنة . نعم . التعبير الصحيح هو الاطمئنان . ابتسامة لايمكن أن تعرفها امرأة مالم تكن تعرف رجلا معرفة صميمة .
وتساءلت كلير فى نفسها: «ولكن متى. متى تدفع لوسيل الثمن؟»
وكان السؤال يتحرك بسرعة مجنونة فى رأسها
« اذن ، كيف حدث هذا ؟ كان العشاء فى « مارن » منذ ثلاثة أيام . لم يكن أى شىء قد بدأ
لابد أنه حدث بعد الظهر . فلا احد فى باريس الان يطارح أحدا الغرام فى الليل . فالجميع يصبحون منهكين . ثم انهم مشغولون باستقبال الاخرين . هل حدث ذلك اليوم ؟ »
واخذت كلير تتفحصهما بنظراتها ، لترى العيون اللامعة ، والانف المستريح ، وبذلك الجنون الذى تتميز به بعض النساء حين ينتابهن الفضول ، حاولت كلير ان تكشف اثار المتعة عليهما .

وأدركت لوسيل ، فاضطرت ،على الرغم منها، أن تنفجر فى الضحك
وتراجعت كلير بوجهها ، وتغير تعبير كلب القنص من على وجهها ، ليحل محله تعبير عذب ، مستسلم ، بما معناه « فاهمة كل حاجة . وموافقة على كل شىء » . لكن هذا التعبير مر دون أن يلحظه أحد ، لسوء الحظ
لان أنطوان نظر الى لوسيل ، وضحك معها ضحكة الثقة ، وقد أمتعه ان يراها تضحك ، وامتعه ايضا انه يعرف انها ستشرح له غدا لماذا تضحك ؟
غدا فى تلك الساعة السعيدة المنهكة التى تعقب الحب
ولذلك لم يسألها : لماذا تضحكين ؟

وهكذا تتكشف كثير من العلاقات ، بلحظات من الصمت ، أو الامتناع عن الاسئلة ، او جملة غير مفهومة ، او بكلمة سر
وعلى أى حال ، فان أول من راقب لوسيل وأنطوان يضحكان ، وأول من رأى تعبير السعادة عليهما ، لا يمكن أن يخطئه الحدس
كانا يحسان ذلك ، وكانا يستغلان بشىء من الفخر تلك الهدنة التى منحها الحديث عن السيارة ، تلك اللحظات التى يستطيعان فيها تبادل النظر ، وتبادل الاعجاب . دون أن يزعجا أحدا
كانا يحسان الشباب ، أو الطفولة التى يحظر عليها أن تفعل شيئا ، فتفعله رغم التحذير ، ولم يقع عليها العقاب بعد
وعادت ديانا ، تخترق الجمع ، بعد أن انحنت بسرعة خاطفة لصديق متعجل ، تناول يدها ، وقبلها ، فانتزعت منه يدها بسرعة . ولم تتم اجابتها على سؤاله الرقيق عن صمتها ، أو تأكيده الحماسى لجمالها
وبين هذه الضجة الغامضة التى تختلط فيها : « كيف حالك ، يا ديانا ؟ لكم انت فاتنة ، يا ديانا . من أين اتيت بهذا الفستان الرائع ، يا ديانا » ، حاولت ديانا أن تصل الى ذلك الركن المظلم ، الشرير ، الذى تركت فيه حبيبها ، وحبها ، مع هذه الفتاة التى يهتم بها
احست بكره شارل لانه انتزعها بعيدا عن الصالون ، وكرهت السيارة ، وكرهت ويليام للقصة التى لا طعم لها ، والتى لا تنتهى. والتى دارت حول طريقة شرائه السيارة
لقد اشتراها بلا شىء . كانت فرصة لا تعوض . التاجر المسكين كاد يموت غيظا . المرعب حقا ، أن كبار الاغنياء . لا ينشغلون الا بشىء واحد هو استغلال الفرص . والفخر ، بأنهم حصلوا على تخفيضات عند بيوت الازياء ، واثمان معقولة عند كارتييه

الحمد لله انها استطاعت الهرب من هذا الجو ، فلم تصبح مثل هؤلاء النساء اللاتى يغازلن الباعة لانقاص الاثمان . مع أنهن يملكن فيضا من المال ، ولا حاجة للغزل
لابد أن تقول ذلك لانطوان . ولا شك أن هذا سيضحكه
ان العالم يسليها . وكانت تستعيد ما قرأته من بروست ، وان كان ما يقلقها انها لا تجد وقتا كثيرا للقراءة
توقفت ديانا ، وهى تفكر فى نفسها :
« يا الهى . لقد أصبحت سوقية . الا يمكن التقدم فى السن دون أن يصبح الانسان سوقيا ؟ »

انها تعانى • انها تبتسم لكوكو دى باليليل ، وتغمز لمكسيـ
الذى غمز لها دون أن تعرف السبب ، واصطدمت بعشر عقبـــات
مبتسمة لطيفة • وشقت اخيرا طريقها لتصل الى انطوان الذى كان
بضحك هناك • يضحك بصوته الخفيض
لابد أن توقف هذه الضحكة
وتقدمت خطوة ، ثم أقفلت عينيها من الراحة :
كان يضحك مع كلير سانتريه
وكانت لوسيل قد ادارت ظهرها لهما



ـ ٩ ـ

قال شارل :
ـ كان الكوكتيل مليئا بالنشاط . انهم يقبلون على الشراب أكثر واكثر . أليس كذلك ؟

وكانت السيارة تسير بهدوء فوق أرصفة نهر السين ، لان السماء تمطر

ووضعت لوسيل رأسها على الباب ، كعادتها ، حتى تسقط بعض حبات المطر على وجهها

كانت تشم رائحة باريس ، فى الليل ، فى أبريل • وكانت تفكر فى وجه أنطوان المقلوب حين وجب أن يفترقا فى أدب ، منذ نصف ساعة

كانت تحس بالروعة

وقالت فى ابتهاج

ـ الناس اصبحوا يخافون كل شيء . يخافون تقدم السن ، يخافون أن يفقدوا ما يملكون • يخافون ألا يحصلوا على ما يريدون . يخافون من الملل ، ويخافون من اثارة الملل فى الاخرين • انهم يعيشون فى حالة دائمة من الهلع والطمع .

وقال شارل :

ـ اننى لم أتنبه تماما لذلك

فلست فى النهاية عالما نفسيا ـ كما تعلمين

كل ما الاحظه ان عدد الذين يرتمون بين ذراعى ، دون ان اعرفهم، أصبح كثيرا هذه الايام ، كما ان عدد الذين يترنحون فى الصالونات يزداد يوما بعد يوم

ولم يستطع شارل أن يقول لها : « اننى لا أهتم بأحد سواك اننى لا ادرس نفسية أحد ساعات وساعات سوى نفسيتك . اننى فريسة فكرة ثابتة : اننى أيضا كما قلت ، أخاف أن أفقد ما أملك ، اننى أنا أيضا فريسة دائمة للطمع والهلع »

وأدخلت لوسيل رأسها ، ونظرت اليه

وأحست فجأة بحنان شديد نحوه . انها لم تحبه من قبل كما

تحبه الآن

كان لابد أن تقاسمه هذه السعادة الشديدة التى تحسها الآن ، وهى تفكر فى غيرها

« ان الساعة الان العاشرة • وبعد سبع عشرة ساعة سأكون بين ذراعى انطوان ، على أن انام غدا متـــأخرة حتى لا احس بمرور الوقت » ووضعت يدها على يد شارل

كانت يده جميلة ، رقيقة ، معتنى بها ، بها بعض النقط الصفراء التى بدأت تظهر عليها

ـ كيف كانت العربة البلندينى ؟

وخطر الى شارل خاطر مرير : « انها تحاول ارضائى . انهـــا تعلم اننى رجل اعمال ورجل متذوق لكنها لا تعلم ان عمرى خمسون عاما . وأننى تعس كحيوان »

ـ جميلة . انها من العهد الزاهر . لقد حصل ويليام عليهـــا مقابل لا شىء

وقالت لوسيل ، وهى تضحك :

ـ ان ويليام يحصل على كل شىء مقابل لا شىء

وقال شارل :

ـ نفس الفكرة التى قالتها ديانا

وطواهما صمت غامض

وقالت لنفسها « لن أبدأ فى الصمت المحـــرج . كلمـا تكلم عن ديانا ، وانطوان ان هذا حمق . لو اننى استطعت فقط ان اقول له الحقيقة :

ان انطوان يعجبنى ، اننى ارغب فى الضحك ، فى ان ارتمى بين أحضانه ولكن أى شىء أفظع من هذا ، ليقال لرجل يحبنى ؟

لعله سيتحمل أن أنام معه • أما أن أضحك •• فلا

اننى أعرف ذلك تماما • فالضحك يلهب الغيرة »

قالت :

ـ ان ديانا فى حالة غريبة

كنت على وشك الحديث مع أنطوان وكلير ، حين رأيتها تعــود الى الصالون

كان يبدو عليها التسمر والغيبوبة .. حتى اننى خفت منها . وحاولت الضحك

وتحول اليها شارل :

ـ الخوف ؟ تريدين ان تقولى الشفقة ؟

وقالت بصوت هادىء :

ـ نعم • الشفقة كذلك

ليس فى تقدم سن المرأة أى بهجة

وقال شارل متماسكا :

ـ أؤكد لك •• ولا بالنسبة للرجل أيضا

وضحكا ضحكة مزيفة جمدت دماءهما

وقالت لوسيل فى نفسها : « اننا نتجنب الصـــدام • فكيف • نفعل مايجب • ولكننى غدا فى الخامسة سأكون فى أحضان أنطوان »

واكتشفت لوسيل انها ، وهى تكره الوحشية ، قد اسـعدها أنها تحس أنها قادرة عليها

لأنه لا أحد ، ولا أية شفاعة تستطيع منعها من الذهاب الى انطوان غدا •• لتجد جسده ، وأنفاسه ، وصوته

كانت تعرف ذلك عن يقين

لكنها دهشت من مضاء رغبتها ، تلك الرغبة التى كانت تتأرجح فيها كل مشاريعها طبقا لمزاجها أو لاختلاف الزمن ، أدهشتهـــا رغبتها اكثر من هذا الفرح المكتمل الذى أحست به منذ هنيهة ، حين التقت نظرتها بنظرة انطوان

ان عاطفتها الدافقة ، حين كانت فى العشرين ، كانت عاطفـة تعسة ، حتى أنهـــا احتفظت للحب بذكرى يمتزج فيها الحزن والفكر •• ذكرى تقترب من احساسها بالدين وكأنهـــا تحس بعاطفة تائهة

وها هى الان تكتشف فجأة قوة الحب ـ الحب السعيد ـ فيبدو لها أن وجودها لم يعد ينحصر فى كائن واحد ، بل اصبح وجودها هائلا منتصرا ، يستحيل اقتلاعه بأى شىء

لقد بدأت تخاف بعض الخوف من الحياة ، بعـد أن كانت أيام عمرها تمر بلا اكتراث ولا حساب

كانت تخشى الا يسعفها الزمن لحب انطوان

ـ ان على أن أسافر الى نيويورك قريبا • فهل تأتين معى ؟

كان صوت شارل هادئا ، وكأنه يفترض قبولها

فهو يعرف أن لوسيل تحب الرحلات

لكنها لم تجب على الفور

ـ ولم لا ؟ هل ستبقى طويلا ؟

فكرت : « مستحيل • مستحيل » • كيف استطيع الحياة من غير أنطوان عشرة أيام ؟

ان شارل يفرض شروطه اما متأخرا جدا ، أو متقدما جـــدا ٠ يفرض شروطه بوحشية شديدة

انني اعطى كل مدن العالم مقابل غرفة انطوان

ليست لى رحلات ، ولا اكتشافات غير ما نفعله سويا ٠٠ »

واستعادت خاطرا محددا ، مفاجئا ، واضـــــطربت ، فدارت برأسها تجاه الشارع

وقال شارل :

ـ عشرة أيام ،أو خمسة عشر يوما، ان نيويورك رائعة فى الربيع

أنك لم تريها سوى فى عز الشتاء ٠ ولا زلت أذكر أنفك الازرق فى احدى الامسيات ، لان البرد كان قارصا ٠ كانت عينـــــاك متجمدتين ، وشعرك منفوشا من الازدراء ، وكنت تنظـــرين الى نظرات اللوم كأن الخطأ خطئى

وأخذ فى الضحك بصوت هادىء مهدج بالحنين ٠

وتذكرت لوسيل برودة ذلك الشتاء اللعين ٠ لم تحفظ له أى ذكرى رقيقة ٠ مجرد انتقال تائه فى التاكسى بين الفنـــــدق والمطعم ٠ ان الذكريات الذهبية المخبوئة ، العاطفية لا يحس بهـــا احد غير شارل ٠ وأحست فجأة بالخجل ٠ انها تعتمد ايضـــا وتستند على عواطف شارل ٠ وهذا يسبب لها الضيق اكثر من اى شىء آخر

انها لا تريد أن تجعله يتعذب ، ولا تريد أن تكذب عليه ، ولا تريد أن تقول له الصدق

انها تريد أن تتركه يخمن كل شىء دون أن تشرح له الامر٠

نعم ٠ لشد ما هى جبانة شديدة الجبن

وأصبحا يلتقيان ، هى وأنطوان ، مرتين أو ثــلاث مرات فى الاسبوع

وأثبت أنطوان سعة خياله ليستطيع أن يترك مكتبه ، وكانت لوسيل ـ على أى حال ـ لا تحكى مطلقا لشارل ما يحدث لها

كانا يلتقيان فى الغرفة الصغيرة ، مضطربين ، يهبطان الى الظلام ولا يجدان وقتا للكلام

لم يعرف أحدهما شيئا عن الاخر ، ولــكن جســديهمـــا كانا

يتعارفان بكثير من السخونة ، وبعاطفة مطلقة ، حتى أن ذاكرتهمـا كانت تحتمى فى اندفاعة اللحظة ، حتى أنهما كانا حين يفترقان يبحثان عبثا فى يأس عن ذكرى محددة ، عن كلمة مهموسة ، أو عن حركة تائهة فى الظلام

كانا يفترقان كنائمين ، تائهين ولا تكاد تمر ساعتان على فراقهما حتى يبدآ من جديد ينتظران الحقيقة الوحيدة فى حياتهما ٠٠ لحظة اللقاء من جديد

وكل ما عدا ذلك أصبح ميتا

الانتظار فقط ، كان يجعلهما يدركان الوقت ، والســـــاعة ، والآخرين ، لان الانتظار كان يبدو لهما عقبة كبيرة ٠ كانت لوسيل قبل ان تذهب الى انطوان تبحث عدة مرات عن مفتاح سيارتها فى الحقيبة ، وتتذكر عدة مرات الشوارع التى ستمر فيها قبـل أن تصل الى بيته ، وتنظر عدة مرات الى المنبه الذى كانت من قبل تحتقره تماما طوال حياتها

وكان انطوان ينبه سكرتيرته عدة مرات ان امامه موعدا عاجلا فى الرابعة . ويترك العمل فى الرابعة الا ربعا ، وان كانت المسافة بين العمل والبيت لا تستغرق سوى دقيقتين مشيا على الاقدام

كانا يصلان ، باهتين قليلا ، لانها كانت تظن أن ازدحام الطريق بالسيارات سيؤخرها ، ولانه تقابل مع أحد المؤلفين الذين ينشرون فى دار نشره ، وعطله عن السير

كانا يتعانقان ، وهما يتنهدان ، وكأنهما قد نجوا من خطر عظم وكان هذا الخطر فى اسوأ الاحوال هو أن يتأخرا خمس دقائق فى لقائهما

كانا يقولان « احبك » فى بهجة

وكان انطوان ينحنى احيانا على لوسيل ، وكان حين يســترد انفاسه ، وقد اقفل عينيه ، يمر على وجهها ، وكتفها بيده ، قائلا بصوت رقيق :

ـ « انك تعجبيننى »

وكانت تبتسم

وكان يحدثها عن ابتسامتها ، وكيف ان ابتسامتها تقلقه حين تتوجه بها لشخص آخر ، وقد اتسعت عيناها

كان يقول لها :

ـ « ان ابتسامتك مستسلمة . وهذا مقلق

ـ ولكننى افكر فى شىء آخر ، فى أن أكون لطيفـــة ٠ انه ليس

الاستسلام ، بل الفراغ

ـ الله يعلم فى أى شىء تفكرين . يبدو عليك انك تمضغين سرا من الاسرار ، أو حركة من الحركات أثناء حفلات العشاء .

ـ اننى افكر حقيقة فى سر انطوان .. »

وأمالت لوسيل راس انطوان على كتفها ، وهمست :

« لا تفكر كثيرا . اننا بخير »

وسكت أنطوان

لم يجرؤ ان يصارحها بما يعتمل فى نفسه ، دائما ، وما يجعله يسهر الليالى الطويلة جوار ديانا التى تتظاهر بالنوم . « لا يمكن أن يستمر هذا ، لا يمكن ، لماذا لا توجد الان بجانبى ؟ »

ان عدم الاكتراث ، أو القدرة التى تميزت بها لوسيل على أن تنكر أى مشكلة كانت تجعل انطوان يضطرب .

كانت ترفض الحديث عن شارل • وتمسك عن الحديث فى أى مشروع قادم • فهل هى ترتبط من قبيل المصلحة ـ ببلاسان لينير ؟ لكنها تبدو حرة ، وهى تنتزع نفسها كلما جاء الحديث عن النقود

والله يعلم ان اكثر الذين يتكلمون عن المال هم الذين يملكون أموالا كثيرة •• وكان يستطيع أن يتخيلها تفعل شيئا يقوم على الحساب

كانت تقول له : « اننى اتمتع بتذوق كل ما هو سهل »

وكانت تقول له : « اننى امقت غريزة التملك » وكانت تقول له : « اوحشتنى » ، ولم يكن يستطع ان يوفق بين كل ما كانت تقول

كان ينتظر باضطراب ان يحدث شىء . ان يضبطا معا . ان تضعه المقادير فى دور الرجل . لكنه كان يحتقر نفسه لذلك

كان انطوان يعرف عن نفسه انه غير مكترث ، وانه شهوانى ولكنه رغم ذلك يحتفظ بقدر غير قليل من الاخلاق

ولم يحس من قبل برغبة فى امرأة كما أحس بالرغبة فى لوسيل لقد ارتبط بالعاطفة بكثيرات ، ولكنه حول علاقته مع سارة الى قصة حب تراجيدية

كان يعلم انه كثيرا ما يقع فريسة الصراعات الداخلية بسهولة والحق ، انه كان موهوبا بالشقاء أكثر من موهبته بالسعادة ، ولم تكن لوسيل تستطيع شيئا سوى ان تلومه على ذلك

لم يفهم كيف انها لم تحب سوى مرة واحدة ، منذ عشر

سنوات . وانها نسيت حبها ، وانها تعتبر عاطفتها هدية رائعة ، غير متوقعة ، لم تكن تطمع فيها ، لكنها هدية هشة ، لم تكن تريد ـ من باب التطير ـ ان تتخيل الى اين يذهب مصيرها

كانت تحب ان تنتظره . وتحب ان يوحشها البعد عنه ، وتحب ان تختفى عنه ، وتحب ان تعيش معه فى وضح النهار

كانت تحس فى كل لحظة من السعادة كل الكفاية

وكانت تفاجىء نفسها ، وهى ـ منذ شهرين ـ تحس بشىء من الحنان ، حيث تسمع اغانى الحب الممجوجة ، وان كانت لاتعبأ مطلقا بما تحويه من معانى « الخلود والاخلاص » تلك المعانى الدارجة

ذلك انها كانت تؤمن بمبدأ واحد : هو ألا تكذب على نفسها ، ولذلك أصبحت تجد نفسها وقد تورطت فى سخرية مريرة عميقة على الرغم منها

وكان القدرة على تحليل العواطف تؤدى الى السخرية والمرارة ، على حين ان الغشاشين والمجانين وحدهم هم الذين يستطيعون البقاء رومانسيين الى الابد

كانت تحب انطوان ، ولكنها تتمسك بشارل ، فأنطوان هو سعادتها ، وهى لا تريد اشقاء شارل

لم تستطع بين الاثنين : ان تفكر فى نفسها بالقدر الكافى الذى يجعلها تحتقر نفسها لانها تقسم نفسها بينهما

ان عدم قدرتها على الشبع جعلها متوحشة ، وباختصار ، لقد كانت سعيدة !

ان الصدفة وحدها هى التى جعلتها تكتشف انها تستطيع المعاناة

لم تكن قد رأت أنطوان منذ ثلاثة ايام ، لان تلك الحفلات الباريسية تصادف ان جعلته يضيع بين المسارح وحفلات العشاء المختلفة

كانت على موعد معه فى الرابعة ، ووصلت فى الموعد ، ودهشت لانها لم تجده يفتح الباب لها

ولاول مرة استخدمت المفتاح الذى كان قد اعطاه لها .

كانت الغرفة خاوية ، والنوافذ مفتوحة ، وظنت للحظة انها اخطأت ، لان الغرفة كانت مرعبة

لم يكن انطوان يضىء غير مصباح أحمر على الارض لا يضىء شيئا غير السرير ، وجزء من السقف

ودارت متسلية فى تلك الغرفة التى تجهلها تماما ، وتعرفهاتماما، تبحث فى عناوين الكتب فوق الرفوف ، والتقطت كرافتة من فوق الارض ، وأخذت تفحص لوحة من ١٩٠٠ ، ظريفة ، لم ترها مطلقا

من قبل
ولاول مرة فكرت فى حبيبها على انه أعزب شاب ، يعمل بدأب ، أو على الاصح يعمل بتواضع
من هو أنطوان ؟ من أين أتي؟ من هما والداه؟ كيف كانت طفولته
وجلست على السرير ، ثم أحست بالحرج لحظة ، فاتجهت الى النافذة ، أحست انها فى بيت غريب ، وأحست انها فضولية
ولاول مرة ، أحست ان انطوان « مخلوق آخـــر » وأن كل ما تعرفه من يديه وفمه ، وعينيه ، وجسمه لا يكفى ليكون شريكها الذى لا ينفصم
أين هو ؟
الساعة الرابعة والربع ، والتليفون لا يدق
أخذت تتنزه فى الغرفة الصغيرة من الباب الى النـــــافذة ، وتناولت كتابا ولم تفهم ما تقرؤه ، فوضعته جانبا
ومر الوقت ، لو كان قد قرر عدم المجىء ، لاتصل تليفونيا
ورفعت السماعة ، خوفا من ان تكون قد وضعت خطأ . لكن السماعة كانت فى وضعها الصحيح
ماذا لو انه لا يريد الحضور ؟
وجعلتها هذه الفكرة تتسمر فى وسط الغـــــرفة ، وارهفت حواسها كجندى حارس تصيبه رصاصة داهمة فى الصميم
وهبت عاصفة عارمة فى ذاكرتها
ان اللوم الذى استشعرته فى عينى انطوان لم يكن لوما .. بل كان مللا
وهذا التردد فى المرة الماضية ، حين سألته عما يعذبه لم يكن يرجع الى الخوف من اقلاقها كما حسبت أول الامر ، ولكن كان يرجع الى الخوف من ان يجعلها تتعذب لو اعترف لها بالحقيقة ، من انه لم يعد يحبها
ورأت فجأة عشرة مواقف لانطوان .. كلها ترجع الى اللامبالاة
وهمست فى نفسها بصوت هادىء : « هيا ، انه لم يعد يحبنى »
ولكن هذه الجملة القصيرة ارتدت اليها كأنها فرقعة سـوط . ووضعت يدها على رقبتها كأنها تريد أن تحمى نفسها
« ولكن ماذا افعل بنفسى لو ان انطوان لم يعد يحبنى ؟ »
وبدت لها حياتها وقد حرمت من الحرارة ، والضحك والدم ، كتلك الصورة الفظيعة لهذه الارض التى أصبحت قاحلة فى بيرو ، والتى ظهرت فى مجلة « بارى ماتش » ، والتى أعجب بها انطوان

اعجابا لا يخلو من الشذوذ . وظلت واقفة ــ فريسة زلزال داخلى ، كان من القوة حتى انها هرعت لنجدة نفسها
وقالت لنفسها « لا عليك . لا عليك »
كانت تحدث جسدها وقلبها ، كأنما تحدث حصانين خائفين
وتمددت على السرير ، مضطرة الى التنفس فى هدوء .
ولكن لا فائدة . فقد امتلكها نوع غريب من الرعب ، واليأس جعلها تهز كتفيها بين يديها ، وتضع رأسها على الوسادة
وسمعت صوتها ، وهو يئن :
« انطوان ، انطوان .. وفى نفس الوقت الذى احست فيه بهذا الالم الذى لا يحتمل ، اجتاحتها موجة رهيبة من الدهشة
« انك مجنونة . مجنونة » ، ولكن شخصا آخر صرخ بصوت أعلى:
« وعيون انطوان الذهبية ، وصوت انطوان ، ماذا تستطيعين أن تفعلى من غيره ، ايتها الحمقاء ؟ »
ودقت الساعة الخامسة فى احدى الكنائس ، وخيل لها ان الها غاضبا يدق الاجراس من اجلها
ودخل انطوان
وحين رأى التعبير على وجهها ، توقف لحظـــــة ، ثم ارتمى بجانبها على السرير
كان مجنونا من فرط السعادة . ولم يكن يدرى السبب . وغطى وجهها وشعرها بالقبلات الحنونة ولعن مدير الدار الذى اضطره الى البقاء ساعة فى المكتب
والتصقت به ، وتمتمت باسمه بصوت غير محدد
ثم وقفت ، وجلست على السرير ، وأدارت له ظهرها
وقالت :
ــ اننى احبك الى الابد
وقال :
ــ وانا كذلك . صدفة سعيدة
وبقيا لحظة من الصمت والفكر
وعلت ابتسامة مستسلمة على وجه لوســـيل ، وعادت اليه ونظرت بجدية الى وجه الذى تحبه وهو يقترب منها

— ١٠ —

لم تكد تمر ساعتان على فراقهما حتى أحست لوسيل كان كارثة وقعت

كان الحب قد أنهك قواها ، وأشبعها ، وأفرغ رأسها ، وخشيت أن يكون الرعب الذى أصابها لايرجع الى تأجج العـــاطفة بل الى اضطراب الاعصاب وقررت بينها وبين نفسها أن تزيد من ساعات نومها ، وأن تقلل من الشراب • وكانت لوسيل قد تعودت على الحياة بمفردها ، وحيدة وحدة عميقة ، ولم تتعود على ذلك الشعور بأن تفتقد شخصا أو شيئا

وبدا ذلك لها مرعبا بدلا من ان يريحها

وانسابت سيارتها على كورنيش السين ، وكانت تقودها دون وعى • وهى مبهورة بالنهر الذهبى ، الذى يقع على مرمى بصرها ، فى تلك الليلة الفاتنة التى يفتح بها الربيع موسمه

وابتسمت ابتسامة قصيرة •••

— ماذا أصابها ؟ •• فى مثل هذه السن ؟ ماذا أصاب حياتها ؟

على أية حال ، انها امرأة ساخرة قاسية ، يرعاها رجل من الاثرياء

وضحكت للفكرة الاخيرة

وابتسم لها راكب سيارة قريبة ، فابتسمت له وهى شـــاردة واسترسلت فى خواطرها ••

— « نعم ، من أنا ؟ »

ان ما يقوله الناس عنها لا يهم ، وما يرونه فيها لا يهم ايضا

لقد فقدت القدرة على أن ترى نفسها ••• فهل ينبىء هـــذا بشر مستطير ؟

هل أصابها الغباء ؟ • لقد قرأت كثيرا وهى صبية قبل أن تكتشف أنها ساذجة

لقد أثارت أسئلة عديدة فى حياتها ، قبل أن تصبح هذا الحيوان المستأنس الذى تقدم له أجود الاطعمة ، وأغلى الثياب ، وقبـــل أن تصبح ذلك الحيوان الخفيف الحركة الذى يتجنب أى تعقيـــد فى الحياة

فالى أين تذهب بروحها ، وماذا تفعل ؟

انها تظن ، حين ترى هذا الخط فى بطن يدها أنها ستموت فى عز شبابها • وقد عانت هذا الحظ ، ولكن ماذا لو أنها عاشت حتى تشيخ ؟

وحاولت أن تتخيل نفسها وهى فقيرة عجوز ، هجرها « شارل » فأصبحت تتخبط باجتهاد فى مهنة ليس فيها شىء من الأغراء

وكأنها كانت تحاول اخافة نفسها ، ولم تستطع ••

ففى هذه اللحظة ، ومهما حدث لها ، كان النهر يبدو لها ذهبيا ، مضيئا بالقرب من القصر الكبير • لم تعد تحتاج الى العربة الانيقة ولا هذا المعطف من محلات « لاروش » ، حتى تعيش

كانت واثقة مطمئنة

ولاشك أن شارل أيضا يعرف ذلك على وجه اليقين • وكان هذا يشقيه

انها لا تحتاج اليه

وككل مرة ، تترك فيها أنطوان كانت تحس بنفحة من الحنـــان لبلاسان لينير وبرغبة عارمة لو استطاعت اسعاده

ولم تكن تعلم أن شارل أيضا ، كان قد تعود أن يجدها حين يعود الى بيته ، وانه يفعل كما كانت تماما منذ ثلاث ساعات فى غرفة أنطوان

كان يذهب ويجىء ويذرع الخطا وهو يسائل نفسه نفس السؤال :

ـ ماذا لو قررت أن تهجره الى الابد ؟

لم تكن تعلم ذلك ، ولم تستطع العلم لانها وجدت شارل يقرأ « الموند » غارقا ، وقد تمدد على سريره

كان شارل يحفظ عن ظهر قلب صوت سيارتها

وسألها هل كان صباحها جميلا ، بصوت هادىء • وقبلها بحنان وكان يضع « الكولونيا » التى تحب لوسيل رائحتها • ولا شك انها فكرت فى أن تشترى مثلها لانطوان

وقالت : صباح جميل • لكننى أخاف •• وتوقفت ••

كانت ترغب فى أن تصارحه بكل شىء • « أخاف أن يضيع منى أنطوان وأخاف أن تضيع منى »

ولكنها لم تستطع

لم تجد أحدا تصارحه ، وتحكى له ماذا حدث فى مسائها الغريب انها لم تتعود أن تبث أحدا أسرارها ، وكان هذا يحزنهـــا بعض الحزن •••

وقالت في شيء من الاضطراب :
ـ أخشى أن أعيش على الهامش ... ؟

وقال شارل :
ـ على هامش أي شيء ؟
ـ هامش الحياة . ما يسميه الاخرون الحياة

هل أعتقد أنه لابد من الحب .. ؟ ألابد من العاطفة ... ألا بد أن يعيش الانسان . وأن يكسب قوته ، ليوجد ؟

وقال شارل ، وهو يخفض عينه :
ـ ليس هذا ضروريا ، ما دمت سعيدة
ـ هل تعتقد أن هذا يكفي ؟
ـ طبعا ..

وجلست لوسيل على السرير ، ومدت يدها وربتت على وجهه المتعب

وأقفل شارل عينه ، وابتسم ابتسامة خافتة

وكأنها تحولت فجأة ، فأصبحت تدرك وتفهم وتقدر . كأنها أصبحت قادرة على اسعاده ...

ولم تقل لنفسها ان هذا الحنان المفاجيء انما يرجع الى احساسها بالسعادة الغامرة لانها رأت أنطوان ، ولو أن أنطوان لم يجيء لاحست بازدراء شارل

فحين يكون الانسان سعيدا يتصور الاخرين كأنهم أتباع يلحقون به ويلحقون كالحاشية ، بسعادته . أما حين تتبدد سعادته ، فانه يكتشف أن الاخرين ليسوا الا شهودا لا أهمية لهم

وسألته لوسيل : ماذا سنفعل هذا المساء ؟

وقال شارل :
ـ هناك هذا العشاء عند ديانا . هل نسيته ؟

وكان صوته مبهورا ، وسعيدا في نفس الوقت

وخمنت السبب ، فاحمر وجهها

وحين قالت له « نعم » قالت له الحقيقة ، لكنها أيضا أوقعته في الخطأ . فلم تجرؤ على أن تقول له : « نعم نسيت العشاء ، لكني لم أنس أنطوان ، انني قادمة من عنده . لقد كنا تائهين الى حد أننا تواعدنا على اللقاء غدا »

وقالت :
ـ لم أنس العشاء ، ولكنني لم أكن أعرف أن العشاء عندها .
أي ثوب تريد أن ترتديه ؟

واندهشت ، لانها لم تكن تحس بالفرح لانها سترى أنطوان بعد.

ساعات قليلة

على العكس ، كانت مضطربة . لقد أصابتها بعد الظهر قمة الانفعال ، وبدا لها لو جاز استخدام هذا التعبير على العواطف . ان كأسها قد فاضت عن آخرها

وفضلت لو استطاعت أن تتناول العشاء مع شارل بعيدا في هدوء

وفتحت فمها لتتكلم فلم تستطع

ان ذلك سيشعره بالسعادة ، ولسوف تورطه في سعادة كاذبة

ولم ترد الكذب عليه
ـ ماذا تقولين ؟
ـ لا أعرف
ـ ان شطحاتك الميتافيزيقية تظهر عليك الارتباك اكثر من المعتاد

وضحكت قائلة :
ـ أنا على العموم مضطربة ؟
ـ تماما
ـ انني لا أستطيع تركك تسافرين وحدك ...

فلسوف أعثر عليك ، في احدى صالات الترانزيت ، الله يعلم في أي مكان ، بعد ثمانية أيام ، وحولك كتب الجيب ، وبالطبع تعرفين كل شيء عن حياة الخدم في البارات

وكان القلق يبدو عليه من هذا الاحتمال ، فضحكت

انه يتصورها غير قادرة على الانسجام مع الحياة . وفي لحظة كالومض أدركت أن هذا التصور بالذات هو ما يربطها به .. أكثر من مجرد عاطفة الامان

انه يتقبل عدم اكترائها ، ويغذي اختيارها اللاواعي ، منذ خمسة عشر عاما ، في أن تبقى مراهقة الى الابد

ان نفس هذه « المراهقة » هي التي تغضب « أنطوان » ، وتجعله يثور عليها

ولعل الصدفة في التشابه بين الشخصية التي أرادتها لوسيل لنفسها ، وتلك التي يراها فيها شارل ، أقوى من أي عاطفة تجعله يضطر الى التخلي عنها

وقال شارل :
ـ انني في غاية التعب ... لنتناول كأسا من الويسكي !

وقالت لوسيل :
ـ ان بولين لا تريدني أن أشرب . فاطلب كأسا « دوبل » وسأشرب من كأسك

وابتسم شارل . وضغط على الجرس

وقالت لوسيل فى نفسها . « اننى ألعب دور الفتاة الصغيرة ، دون ارادتى ،ولن يمضى وقت طويل حتى أضع العرائس على سريرى»

وانسحبت ومرت فى غرفتها ، ونظرت الى سريرها ، وتساءلت لو أنها ستصحو ذات صباح لتجد انطوان الى جوارها



- ١١ -

كانت شقة « ديانا » فى شارع كامبون جميلة انيقة ، غارقة فى الزهور النضرة ، وعلى الرغم من ان الجو كان لطيفا . وانها تركت الابواب والنوافذ مفتوحة ، الا أنها أشعلت نيران المدفأة فى طرفين من اطراف الصالون

واستنشقت لوسيل مغتبطة رائحة الجو التى كانت تفوح برائحة صيف قادم . صيف ساخن مترب . لكنها كانت تستنشق ايضا رائحة الاخشاب المشتعلة التى تذكرها بالخريف الذى يمضى. والذى يرتبط برائحة غابة سولونى التى كان شارل يصحبها اليها للصيد

وقالت لوسيل لديانا :

ـ ما أجمل أن تمزجى فصلين من فصول السنة فى ليلة واحدة

وقالت ديانا :

ـ نعم . ولكن الواحدة منا تحس انها لا تلبس الثوب الملائم .

وضحكت لوسيل

وكانت ضحكتها هادئة . وقد أخذت تكلم ديانا دون حرج الى درجة أن ديانا أخذت تسأل نفسها

ـ أليس من الغباء أن أغار من مثل هذه الفتاة ؟

والحق ان لوسيل كانت تتصرف بلباقة ، وكان يبدو على وجهها هذا التعبير التائه ، كأنها على هامش الحياة ، ذلك التعبير الذى كان أنطوان يلومها بسببه . وكأن ما يربطهما شىء آخر

كان بلاسان لينير هادئا تماما . ولم يكن انطوان أسعد مما كان يبدو الآن

ولعلها مخطئة فى ظنها

وأبدت ديانا للوسيل شيئا من التعاطف ، بل وشيئا من الامتنان

ـ تعالى معى . سأريك بقية الشقة . هل تمتعك الرؤية ؟

وتفحصت لوسيل الحمام ، ونقوش السيراميك الايطالية ، وعلا صوتها بالاعجاب بالشماعة ، وتبعت ديانا الى غرفتها

ـ اعذرى هذا الاضطراب

كان انطوان قد غير ملابسه عندها . وكان قميصه وكرافتته ملقيين على الارض . وخطفت ديانا نظرة الى لوسيل ، فلم تر سوى تعبير خفيف عن الحرج ، لا يصدر الا عن شخص مهذب ، لكن شيئا دفع ديانا ... شيئا لم تستطع كتمانه . فالتقطت الثياب ، ووضعتها فوق « فوتى » وعادت الى لوسيل ، التى لم تتحرك ، وان كانت تبتسم ابتسامة مواسية :

ـ ان الرجال مهملون ..

ونظرت اليها فى عينيها

وقالت لوسيل بلطف :

ـ ان شارل منظم جدا

وأحست برغبة فى الضحك . « ماذا تظن ، هل ستقول لى ان انطوان لا يستخدم معجون اسنانه ؟ »

لم تحس بالغيرة . احست كأن الكرافتة ، صديق قديم من أصدقاء الكلية تقابله كمعجزة بعيدا تحت اقدام الاهرامات

وفكرت فى نفس الوقت ان ديانا فائقة الجمال ، وأن انطوان غريب حقا لانه يتركها ويأتى اليها . كانت تحس بالموضوعية والدقة ، وبالترحيب كما يحدث لها عادة حين تفرط قليلا فى الشراب

وقالت ديانا :

ـ علينا أن نعود الى هناك . لا أعرف لماذا احس اننى مضطرة من وقت لآخر لاقامة الحفلات . انها متعبة جدا لربة البيت

ولست أظن أن الناس يستمتعون بقدر هذا التعب

وقالت لوسيل عن اقتناع :

ـ السهرة بهيجة جدا

ان كلير تكشر قليلا . وهذه علامة طيبة

ـ هل لاحظت ذلك ؟ « وابتسمت ديانا » . لم اكن اظن ذلك

انك دائما تبدين لى .. تبدين ..

ـ تائهة

ـ تماما

ـ لقد قال لى ذلك شارل فى الساعة السابعة ، سينتهى الامر الى أن أصدق ما تقولون

وأخذتا فى الضحك ، وأحست لوسيل بشىء من العاطفة تجاه ديانا . فمن النادر ان تجد فى هذا الوسط الصغير مثل هذه المرأة المتميزة ... من النادر ان تسمعها تنطق سخفا ، او تقول شيئا فظا

وكان شارل وهو الرقيق جدا يذكرها بالخير دائما

وأسفت لانها لا تستطيع أن تصبح صديقتها ..

يمكن ان يحدث ذلك لو ان ديانا كانت حقيقة ذكية ، فان كل شىء سوف ينتهى على خير . وبدا لها هذا التفاؤل الساذج علامة على العقل ، ولم يوقفها عن الاسترسال سوى دخول انطوان الى الغرفة.

اوقفها عن ان تبدأ فى شرح الامر لديانا ، مما كان يمكن ان ينتهى الى كارثة

وقال انطوان :

ـ ان ديستريه يبحث عنك فى كل مكان . انه جن من الغضب

ونظر الى لوسيل وديانا باضطراب

وفكرت ديانا :

ـ « لعله يظننى اغار من لوسيل ، واننى أبحث عن دليل ، ما دمت قد شاهدت ابتهاج لوسيل الواضح

ياله من مسكين .. ؟!

قالت :

ـ اننا لا نفعل شرا ، اننى أرى لوسيل الشقة ، لانها لم تكن رأتها . وتضاحكت لوسيل لاضطراب انطوان ، وتضاحكتا سويا كانهما تتآمران . واشتعل غضب رجولى فى قلب انطوان ، وقال فى نفسه :

« وكيف اخرج من احضان واحدة ، لانام فى احضان الاخرى . وهما تسخران منى ! »

وقال :

ـ هل قلت شيئا شاذا ؟

وقالت ديانا :

ـ لاشىء . يبدو عليك الاهتمام اكثر من اللازم بأعصاب ديتريه، وانت تعرف ، كما أعرف ، انه لا يكف عن الغضب

ان هذا يسلينا جميعا . هذا هو كل شىء

وتقدمت ديانا وتبعتها لوسيل ، وهى توجه اليه تكشيرة مليئة بالالم والتململ ، وتردد لحظة ، ثم ابتسم

لقد قال لها منذ ساعتين : « سأحبك الى الابد » وهو يتذكر الان صوته الذى نطق به هذه الكلمات . وتستطيع الآن ان تلعب ما شاء لها اللعب . وحين عادت لوسيل الى الصالون ، اصطدمت بجونى الذى كان يحس بالملل فأسرع اليها ، واعطاها كأسا فى يدها،

وسحبها ناحيه النافذة
وقال :
— لوسيل انني اعبدك يا لوسيل . انني احس معك بالطمانينة لانني اعرف انك لن تحدثيني عن آخر مسرحية ، ولا تتحدثين عن سيرة المدعوين
— انك تقول لي هذا الكلام كل مرة
وقال جوني :
— خذي حذرك . فالسعادة تبدو على وجهك بوقاحة !
ومرت لوسيل بيدها على وجهها دون وعي ، كأن السعادة قناع نسيت أن تخلعه
حقا ، لقد قالت هذا اليوم لشخص « احبك » وقال هذا الشخص « وانا كذلك » فهل يكون ذلك واضحا الى هذا الحد ؟
وأحست فجأة انها اصبحت بوصلة الاجتماع ، وظنت ان المدعوين جميعا ينظرون اليها ، فاحمر وجهها
وشربت في جرعة واحدة كأس الويسكي التي ذاب ثلجها وكان قد أعطاها لها جوني
وقالت في ضعف :
— ان مزاجي رائق ، وهذا كل شيء ، كما أنني أجد المدعوين ظرفاء
وتملكت لوسيل فكرة . كأنها ، وهي التي لا تكترث بمثل هذه السهرات ، تريد ان تعتذر عن هذا التعبير الذي يعلو وجهها ، مثل هؤلاء النساء القبيحات حين لا يتوقفن عن الحديث حتى ينسى الناس قبحهن
وأخذت لوسيل تنتقل في خفة ورشاقة من جمع الى جمع ، مضطربة ، عذبة ، بل أخذت تثني على ذوق كلير سانتريه لثوبها الجميل ، وكلير مشدوهة من الدهشة
وكان شارل يتابعها بنظرات مندهشة ، حائرا ، وكان يقرر ان يأخذها لينصرفا حين جاءت ديانا لتأخذه من ذراعه :
— شارل . انها اول قبلة جميلة في الربيع . سوف نرقص لا أحد يريد النوم ، وأظن ان لوسيل أقلنا رغبة في النوم .
وتابعت ديانا لوسيل بنظرة رقيقة متسلية ، فاطمأن شارل فجأة ، وهو الذي يعرف مدى غيرة ديانا ، وهو الذي رآها تصحب لوسيل منذ لحظات
لا شك أن لوسيل نسيت انطوان
وكأن الحفل أصبح احتفالا بالسلام الذي تقترحه ديانا

وقبل شارل اقتراح ديانا
وتواعدا على الانتقال الى علبة ليل
ووصل شارل ولوسيل في المقدمة ، ورقصا معا ، وأخذا يتحدثان ، لان لوسيل كانت كطائر ثرثار
ووقفت فجأة
فقد رأت على الباب ، رجلا طويل القامة .. أطول من الاخرين يلبس بذلة زرقاء غامقة ، وعيناه صفراوان
كانت تعرف عن ظهر قلب وجه هذا الرجل ، وكل ندبة تحت هذه البذلة الزرقاء الغامقة ، وكانت تعرف منحنيات كتفيه
اتجه نحوهما ، وجلس
كانت ديانا في الدور الاسفل تعيد طلاء وجهها
ودعاها انطوان الى الرقص
لكن طريقة ضغط يده على يدها ، ووضع يده الاخرى على ظهرها ، وتلك المسافة الغريبة ، الواسعة التي كانت تفصل خدها عن خده ، كأنها نفس المسافة التي تفصل رغبتين ، فكانت تشعرها بالحرج ، حتى انها تظاهرت بشيء من الملل ، وكأنها تريد خداع الجمهور ، الذي لم يكن في الحق يراها
هذه هي المرة الاولى التي ترقص فيها مع انطوان ، على اغنية عاطفية متأججة من التي يعرفونها هذا الربيع في كل مكان
وصحبها الى المائدة
وكانت ديانا قد عادت ، فرقصت مع شارل ، وجلس انطوان ولوسيل على الاريكة متباعدين
كان الغضب يتملكه .. قال :
— هل تسليت جيدا ؟
وقالت لوسيل مندهشة :
— نعم ، بالطبع . وانت ؟
قال :
— مطلقا . انني لا اتسلى بمثل هذه الاجتماعات ، وعلى عكسك تماما انني امقت هذه المواقف المزيفة
والحقيقة أنه لم يستطع الحديث الى لوسيل في هذه الليلة . كان يرغبها . وكان مجرد الخاطر أنها سوف تذهب بعد دقائق مع شارل يصيبه في بطنه بالداء
لقد اصابته نوبة من نوبات الفضيلة ، والاقتصار ، كتلك النوبات التي تصيب من يرغب في شيء ، ولا يحصل عليه

وقال لها

ـ لقد خلقت لهذا النوع من الحياة ..

ـ وانت ؟

ـ لا . هناك من الرجال من يوزعون فحولتهم بين امرأتين . أما انا فرجولتى تمنعنى من أن اجعلهن يتعذبن ، وأنا متمتع .

ـ لو انك رأيت نفسك ، وانت فى غرفة ديانا ، لرأيت كيف يكون الاضطراب .. وأخذت لوسيل تضحك

وقال انطوان فى صوت كظيم :

ـ لا تضحكى . بعد عشر دقائق ، ستكونين فى أحضان شارل او ستكونين وحدك . ستكونين بعيدة عنى ..

ـ ولكن غدا ...

وقال :

ـ كفانى من هذا « الغد » . عليك أن تضعى هذا جيدا فى رأسك

وسكتت لوسيل

حاولت ان تبدو جادة ، ولكنها لم تستطع

لقد جعلتها الخمر متوهجة

وجاء شاب صغير يدعوها للرقص ، فطرده انطوان بصوت جاف. وغضبت منه . كان يمكن ان ترقص عن رضا ، وان تتحدث ، او حتى تهرب مع ثالث . انها لا تحس بالارتباط بشيء سوى بالرغبة فى أن تتسلى

وقالت شاكية :

ـ لقد شربت كثيرا

وقال انطوان :

ـ هذا يبدو واضحا .. وقالت :

ـ كنت تستطيع على الاقل أن تفعل مثلما فعلت ، لكنك غير مسل

كانت هذه هى المرة الاولى التى يتشابكان فيها

وألقت بنظرة خاطفة على وجهه الطفولى الغاضب ، ورقت لحالته :

ـ انطوان ... انك تعرف جيدا ...

ـ نعم .. نعم .. انك تحبيننى الى الابد .. ونهض من مكانه

وعادت ديانا الى المائدة . وكان التعب واضحا على شارل . والقى بنظرة متشفعة تجاه لوسيل ، ورجا ديانا ان تعذرهما : فعليه أن ينهض مبكرا غدا ، وهذا المكان صاخب جدا بالنسبة اليه

ولم تحتج لوسيل . وتبعته

ولكنها فى السيارة ، احست لاول مرة ، انها اصبحت سجينة

ـ ١٢ ـ

وقفت ديانا فى الحمام تمسح المساحيق

وادار انطوان « البيك أب » ، وجلس على الارض ، ليسمع دون أن ينصت الى كونشرتو لبتهوفن

وكانت ديانا تراه فى المرآة وتبتسم

ان انطوان يجلس أمام « البيك آب » دائما كأنه يجلس أمام تمثال اله او أمام نار مدفئة

كان يمكن أن تقول له أن الصوت يأتى من مكبرات الصوت الحساسة والتى وضعت فى كل ركن من أركان الغرفة ، وأنها ترسل كل الدقات الى الوسط تماما ، فوق سريره ، ولكنه كان يفضل البقاء أمام « البيك آب » كأنه يعشق دوران الاسطوانة السوداء

كانت ديانا تمسح بعناية مساحيق النهار ، لتضع مساحيق الليل التى تخفى الغضون ، ولا تعمقها

ولم تعد تستطيع أن تدع جلدها يتنفس (كما تنصح المجلات النسائية) كما لم تستطع أن تترك قلبها يتنفس . لا وقت ..

انها تعتبر جمالها ضروريا لتحتفظ بأنطوان ، ولهذا لم تعد تعبأ بمستقبل جلدها الذى لا يهم

وهناك من الطبائع اكثرها ثراء على أى حال ، لاتهتم الا بالرذائل، ثم تحرق الباقى

وكان طبع ديانا من بين هؤلاء

كان انطوان مشدودا ، يستمع الى بعض الاصوات الخافتة فى الحمام

كان يسمع صوت تمزق أوراق « الكلينيكى » وصوت فرشاة الشعر ، فكانت هذه الاصوات تغطى الكمان ، والالات النحاسية التى تعزف فى الكونشرتو . كان عليه بعد خمس دقائق ، أن ينهض ليخلع ملابسه ، ويندس فى هذه الملايات الانيقة ، جوار هذه المرأة المعتنية بنفسها فى هذه الغرفة الجميلة

لكنه يشتاق الى لوسيل

ولوسيل تأتي اليه وتستمتع على ذلك السرير ، الذى يشبه الاريكة ، والذى تملكه صاحبة البيت

ان لوسيل تخلع ملابسها بسرعة ، وهى تختفى بسرعة ، انها ضيفته ، وسارقته التى لا يمكن امساكها

انها لم تستقر ولن تستقر ، وسيصحو فلا يجدها الى جواره ستظل دائما عابرة طريق ..

واحس انه أضاع ليلته ، وأحس بحلقه يجف

أحس بيأس المراهقين

واقبلت ديانا نحوه فى ثوبها الازرق . نظرت لحظة الى ظهره الذى أداره لها ، والى رقبته الممدودة الشقراء ، التى تخشى أن تصدمها

كانت متعبة ، فقد شربت كثيرا على غير المعتاد ، وكان مزاجها معتدلا

كانت ترغب أن يحدثها أنطوان ، وأن يضحك معها ، وان يحكى لها طفولته دون تحفظ

كانت تجهل أن ما يستبد به بالذات هو هــذا « التحفظ » ، هذا الالتزام الاخلاقى فى ان يطارحها الغرام ، والتى يظن ــ ظالما ــ انها لا تستطيع ان ترغب فى شيء آخر غير هذا الغرام

وحين جلســت بالقرب منه ، ووضعت بلطف ذراعهــا تحت ذراعه خطر ان يقول لنفسه بشيء من الخشونة التى لم يعتدها : « نعم . دقيقة واحدة » ذلك لانه حتى فى أشنع علاقاته ، كان يحفظ قدرا من الاحترام للحب ، ويبقى لحظة من اســتجماع نفسه قبل أن يضع يده على شخص

قالت ديانا :

ــ اننى أحب هذا الكونشرتو

وقال أنطوان :

ــ انه رائع

قال بلهجة مهذبة ، كانه مصطاف يعترضه غريب على البلاج ليقول له ما أروع البحر الابيض المتوسط !

ــ كانت السهرة ناجحة جدا ــ أليس كذلك ؟

وقال أنطوان :

ــ حفلة صواريخ

وتمدد على السجادة ، وأقفل عينيه

كان يبدو هائلا . ولم يشعر بالوحدة كما كان يشعر الان

كان يسمع صوته ، ونطقه الساخر والشرير

كان يزدرى نفسه

وظلت ديانا بلا حراك «جميلة ، عجوز ، تفوح منها المساحيق»

اين قرا هذا التعبير ؟ فى يوميات بيديس

ــ هل أحسست بكثير من الملل ؟

ونهضت ديانا ، لتمشى فى الفرفة ، لتعيد ترتيب زهرة فى فازة ، واخذت تربت بيدها على قطعة من الاثاث

واخذ يراقبها من بين جفنيه

انها تعشق الاشياء ، هذه الاشياء التى لا قيمة لها . انه جزء من هذه الاشياء ، انه قطعة نادرة من قطعها الانيقة . انه شاب تنفق عليه

لا . ليس تماما . لكنه « يتعشى عند اصدقائها ، وينــام فى شقتها » ، ويعيش حياتها

فكيف يصدر حكمه القاسى على لوسيل

انها على الاقل امرأة

ــ انك لا تجيب . هل أحسست بالملل من السهرة ؟

صوتها ، أسئلتها . ثوبها . عطرها . لم يعد يستطيع الاحتمال

وانقلب على بطنه ، ووضع راسه بين ذراعيه

وجلست القرفصاء الى جانبه :

ــ انطوان ، أنطوان ..

تنبه الى الوحشة فى صوتها ، وحشة وحنان جعلاه يفيق من غفوته ، فانقلب اليها

كانت عيناها تلمعان بالبريق ، وتبادلا النظر .. ثم جذبها اليه

وابدت حركة مضــطربة ، تدل على الخوف ، لتتمــدد الى جواره ، وكأنهــا كانت تخشى ان تنكسر ، أو كأنهــا مصابة بالروماتيزم

ولمـا كان لا يستطيع ان يحبها ، فقد اشتهاها .. على الاقل

وسافر شارل الى نيويورك ، بمفرده ، واختصر رحلته الى أربعة أيام

واخذت لوسيل تتنزه فى شوارع باريس الزرقاء فى سيارتها المكشوفة

كانت تنتظر الصيف ، وكانت تتعرف عليه فى كل عطر [illegible] ، وفى كل انعكاس يرتمى على صفحة السين ، واستشعرت رائحة

الغبار ، والشجر ، والارض التى سوف تهب قريبا على شارع سان جرمان ، وأشجار الفرو الشاهقة التى تعلو الى السماء الوردية فى الليل ، تكاد تغطى السماء ، وتلك المصابيح التى تضاء قبل مجىء الليل بوقت طويل ، وأحست باهانة دورها المهنى لانها كانت تلعب دورا هاما فى أثناء الشتاء ، لتقود المارة ، ولكنها فى الصيف تكاد لا تكون لها فائدة . تلك المصابيح التى يهجم عليها يوم لم يهبط نوره بعد ، وفجر تحس بشوقه فى السماء ، لينشر ضوءه

وفى مسائها الاول ، تمشت فى سان جرمان دى بريه ، وقابلت بعض أصدقائها فى الكلية ، وأصدقاء ما بعد الكلية ، وكانوا يحيونها بصيحات كأنها « عائدة »

أحست بالفعل انها عائدة

ولا تكاد تتبادل معهم بعض الفكاهات ، أو تستعيد بعض الذكريات حتى تحس أنهم واقعون وسط مشاكل العمل ، أو الضائقة المالية ، أو مشاكل الصديقات ، وكان عدم اكتراثها يبدو لهم مثيرا للقلق ، بدلا من أن يخفف عنهم

ذلك أن اجتياز حاجز المال ، يشبه اجتياز حاجز الصوت

وبذلك فكل كلامها كان لا يصيب هدفه ، بل ويأتى متأخرا .

ورفضت لوسيل تناول العشاء معهم فى ذلك المقهى الظريف فى شارع « كوجا » وعادت الى بيتها فى الثامنة والنصف ، تحس بشىء من الكآبة

واعدت لها بولين « بوفتيكا » ، وتمددت لوسيل على السرير والشباك مفتوح تماما

كان النهار يتناقص بسرعة على السجادة ، والضجة فى الشارع تتناقص ، وتذكرت أن النسمة أيقظتها من نومها منذ شهرين .

لم تكن النسمة خامدة ثابتة كتلك الرياح . لكنها كانت نسمة سريعة ، نشيطة اضطرتها الى الصحو ، كما أن هذه النسمة تدفعها الى النوم

وبين النسمتين كان انطوان . والحياة

سوف تتعشى معه غدا

وحيدان

وأحست بالاضطراب

أخيرا ، أصبحت تخاف من أن يصيب شريكها الملل منها ، بعد أن كانت على العكس • كل مشكلتها هى الاحساس بالملل

من الاخرين

لكنها كانت فى نفس الوقت تحس أن الحياة أغدقت عليها ، وأحست بالعذوبة ، وهى تتمدد فوق سريرها ، وقد أخذ الظل يحيط بها ، وأصبحت توافق على أن الارض كروية ، وأن الحياة معقدة ، وانه لن يحدث لها أى شىء

وهناك من لحظات السعادة الكاملة التى يحسها الانسان فى وحدته أحيانا ما ينقذ الانسان من اليأس . السعادة مع الوحدة أكثر من اى شىء يأتى من الخارج ، لان الانسان يدرك انه سعيد، ووحيد ، بلا سبب واضح • ويعلم أن ذلك ممكن

ان تلك السعادة التى يتخيل الانسان انها مرتبطة بانسان آخر بسبب تعاسته مرتبطة بلا ادنى أمل فى الفكاك منها ، كأن الارتباط عضوى ، تلك السعادة تبدو من جديد كأنها شىء ناعم ، مستدير ، لم يلمسه أحد ، شىء حر الى الابد ، يضع نفسه تحت تصرفك (شىء بعيد بالطبع ، لكنه ممكن)

ان ذكرى هذه السعادة .. بمفردك ، تصبح أكثر طمأنينة من تلك السعادة التى كنت تتقاسمها مع شخص آخر ، ثم أصبحت لاغية ، فتبدو هذه السعادة خطأ ، وتبدو ذكراها على غير أساس

كان عليها أن تمر على أنطوان فى السادسة غدا

سوف يركبان عربة لوسيل ، ويتعشيان فى الريف

سيكون الليل كله ملكهما

ستنام مبتسمة

كان الحصى يخشخش تحت أقدام الصبية ، والوطاويط تحوم حول المصابيح على التراس ورجل وامرأة يبتلعان « أومليت » ساخنا على المائدة القريبة . كانا يجلسان على بعد خمسة عشر كيلومترا من باريس ، وفى الجلسة برودة ، فوضعت صاحبة المحل شالا على كتف لوسيل

كان المكان واحدا من آلاف الفنادق الصغيرة التى تتيح شيئا قليلا أو كثيرا من السرية والهواء الطلق لباريسيين مجهدين أو زانيين

كان الهواء يداعب شعر انطوان . كان يضحك . وكانت لوسيل تحكى له طفولتها . طفولة سعيدة

— « كان أبى يعمل موثقا • وكان يعشق لافونتين »
وكان يتنزه على نهر « الاندر » وهو يروى حكايات لافونتين . لقد حاول بعد ذلك أن يكتب حكايات على غرار لافونتين ، مع تغيير الادوار

وأنا متأكدة أننى واحدة من الفرنسيات النادرات اللائى يعرفن عن ظهر قلب قصة « الخروف والغراب »

انك محظوظ

وقال انطوان :

— نعم محظوظ . واعرف ذلك . استمرى

— مات وانا فى الثانية عشرة ، ومرض اخى بالشلل

ولا يزال قعيدا . وقد انتابت أمى عاطفة مشبوبة تجاهه . فهى لا تتركه • كادت تنسانى ، على ما أظن • وسكتت ••

حين وصلت الى باريس كانت ترسل بصعوبة بعض المـــال الى أمها كل شهر • ومنذ عامين ، يتولى شارل هذه المهمة عنهـــا ، ولا يحدثها مطلقا عما يرسله

وقال انطوان :

— ان والدى لا يحب أحدهما الاخر • ولكنهما لم ينفصـــلا حتى يحافظا على بيت لى . لكننى أؤكد لك اننى كنت أحب أن يكون لى بيتان • وابتسم • ومد يده على المائدة ، وأمسك يد لوسيل

— هل تلاحظين أن أمامنا كل المساء . وكل الليلة

— ستعود الى باريس فى بطء شديد ، بعد أن تعيد غطاء السيارة

عليك أن تسير ببطء ، لان الجو بارد

وسأشعل لك سجائرك حتى لا تترك العجلة

— سنسير فى هدوء . بسببك ، سنذهب للرقص . وسنعود معا . لتعرف فى الصباح ، اذا كنت سأتناول القهوة او الشاى ، وكم قطعة من السكر

— نرقص ؟ اننا سنقابل كل من يعرفوننا

وقال انطوان بجفاء :

— ثم ماذا ؟ أتظنين أننى سأمضى حياتى فى الخفاء ؟

لم تجب ، وأخفضت عينيها

وقال انطوان بهدوء

— عليك أن تتخذى قرارك . ليس الليلة . لا تخافى

ورفعت رأسها ، كأنها تخلصت من شيء ، ولم تستطع التوقف عن الضحك :

— اننى اعلم أن أقل تأجيل يطربك • انك لا تعيشى الا للحظتك أليس كذلك ؟ ولم تجب

لقد كانت على صفاء معه ، وعلى طبيعتها ، وكان يجعلهـــا تضحك ، وتتكلم وتطارحه الغرام ، كان يقدم لها كل هذا ، وكان هذا يخيفها

وتيقظت مبكرة فى اليوم التـــالى ، وفتحت عينين تائهتين على غرفة مضطربة ، وعلى ذراع طويلة ، مغطاة بشـــــعر أشـــقر ، لا تستطيع الافلات منها • ثم اقفلت عينيها ، وانقلبت على بطنها ، وابتسمت

كانت بالقرب من انطوان ، وعرفت ماذا يعنى هذا التعبير الذى يقال : « تمضية ليلة غرامية »

لقد ذهبت لترقص معه ، وعادت معه ، وتكلما معا ، وتطارحا الغرام ، ودخنا وطارحته الغرام حتى غطاهما الصباح ، وقد أسكرتهما الكلمات والحركات ، وغاصا فى ذلك الســـلام الذى يعقب التعب

كانا يظنان انهما سيموتان تلك الليلة ، وجاءهما النوم كقطعة الخشب العائمة التى ارتقياها بصعوبة شديدة ، وتمددا عليها ، واغمى عليهما . وكانت يداهمـــا تتلامسان ، كدليل اخير على التواطؤ

ونظرت الى وجه انطوان ، ورقبته ، وذقنه التى بدات تظهر ، والخط الازرق الذى ظهر تحت عينيه ، وبدا لها انها لا تستطيع أن تتصور الصحو فى مكان آخر غير الصحو الى جانبه .

احبت فيه أنه فى الصباح حالم لا يهتم ، وفى الليل قوى دقيق.

كأن الحب ايقظ فيه كافرا لا يعبـأ ، ليس له قانون سوى المتعة

وحول رأسه ناحيتها ، وفتح عينيه ، ونظر اليها نظرة الوليد ، التى تتراوح بين الدهشة والتردد ، تلك النظرة التى يتميز بهـــا الرجال عندما يتيقظون فى الصباح

تعرف عليها ، وابتسم ، وانقلب ناحيتها

كان رأسه الثقيل الساخن من النوم على كتف لوسيل ، التى كانت تنظر ، وهى تبتسم ، الى قدميه اللتين ظهرتا من الغطاء الملفوف

تنهد وتمتم بشىء ما ، بصوت شاك
وقالت :
ـ عيناك رائعتان فى الصباح · تشبهان البيرة
ـ اى شاعرة
ونهض فجأة ، ليمسك بوجه لوسيل
ـ عيناك تكادان تكونان زرقاوين
ـ لا · انهما رماديتان خضراوان
ـ مفرورة
كانا وجها لوجه على السرير
كان يمسك وجهها ، وكانا يبتسمان
كان كتفاه عريضين ، بارزى العظام ، وهربت من يده ، ووضعت
سها على صدره
سمعت قلبه يدق سريعا ، سريعا مثل قلبها
قالت :
ـ قلبك يدق بقوة . من التعب ؟
ـ قال انطوان :
ـ لا .انها الخفقات
ـ ما معنى الخفقات فى الاصل ؟
ـ عليك بالقاموس . ليس لدى وقت لاشرح لك
ومددها برقة على السرير . وكان النهار فى الخارج قد اكتمل.
وفى الظهيرة ، اتصل أنطوان بمكتبه تليفونيا ، وقال ان حرارته
تفعة ، وأنه سيذهب بعد الظهر
ـ أعلم أن هذا يشبه شغل التلاميذ . ولكننى لا أريد أن اطرد.
مورد رزقى كما يقال
وقالت لوسيل ، غير مهتمة :
ـ هل تكسب كثيرا ؟
وقال بنفس اللهجة :
ـ قليلا جدا . هل هذا مهم ؟
قالت ضاحكة :
ـ لا ، لكننى اظن أن النقود مريحة ، هذا كل شىء
ـ مريحة الى حد يجعلها مهمة ؟
نظرت اليه فى دهشة
ـ ولماذا كل هذه الاسئلة ؟
ـ لاننى أريد الحياة معك ، اى أقصد اعالتك . .

وقاطعته لوسيل :
ـ معذرة .. اننى أستطيع كسب قوتى . لقد اشتغلت عاما فى
« آبيل » جريدة توقفت الان
كان العمل مسليا ، لكن جميع من كانوا يعملون كانوا جادين
بشكل مرعب ، وكانت تبدو عليهم ملامح الوعظ .. و ..
ووضع انطوان يده على فمها :
ـ هل سمعتنى جيدا . اننى أريد الحياة معك ، أولا اريد أن
اراك بعد الان . اننى اعيش هنا واكسب قليلا من المال ،
ولا استطيع أن أجعلك تعيشين نفس الحياة التى تعيشينها
الان . هل تفهميننى ؟
قالت فى ضعف :
ـ لكن ، شارل ؟
قال أنطوان :
ـ اما شارل ، واما أنا
سيعود غدا ، أليس كذلك ؟ غدا مساء ، تأتين الى الابد أو لا
نتقابل مطلقا
هكذا . .
ونهض ليذهب الى الحمام
واخذت لوسيل تقرض اظافرها ، تحاول ان تفكر بلا جدوى .
وتمددت وأقفلت عينيها
كان لابد أن يحدث هذا الذى حدث . كانت تعلم ذلك . ان
الرجال متعبون
ان عليها أن تتخذ قرارها من الان حتى بعد غد ، وكانت كلمة
« القرار » هذه هى احدى كلمات الفرنسية التى تصيبها بالفزع.



- ١٣ -

كان مطار أورلى يغرق فى شـــمس باردة تنعكس فى المرايا ، وعلى ظهور الطائرات اللامعة ، وعلى جوانب المطار فى لمعان رمادى يبهر العين

وكانت طائرة شارل قد تأخرت ساعتين ، ولوسيل تتجول ، وهى ضائعة ، وسط الصالة الواسعة

اذا حدث مكروه لشارل ، لن تستطيع احتمال ذلك . سيكون ذلك خطأها لانها لم ترض بالسفر معه . ولانها خانته

وتحول ذلك الوجه الحزين المصمم الذى كانت تحمله منـــذ ساعتين ، وكانت قد صممت على ان تخطر شارل بأن شيئا ما لا يسير على مايرام . تحول الى وجه مفعم بالقلق والحنان

هذا هو الوجه الذى رآه ، حين عبر الجمرك ، وابتسم لهـــا ابتسامة حارة ، مطمئنة ، جعلت الدموع تتدفق فى عينيها

واتجه اليها ، وقبلها بحنان ، وأبقاها قليلا الى جانبه ، ورات لوسيل امراة لعينة تنظر اليها نظرة الحسد

انها تنسى دائما ان شارل رجل جميل ، وان حنانه لا يعطيه لغيرها . كان يحبها بما فيها ، ولا يطلب منها الحســـاب ، ولا يطالبها بشىء ، واحست بقليل من اللوم تجاه انطوان

من السهل ان يتحدث الانسان عن الانفصال ، اذا كان يمكن الحياة مع انسان لمدة عامين دون أن يرتبط به

وتناولت يد شارل ، وأبقتها

كأنها أحست ان واجبها ان تدافع عنه ، ولم تتذكر ان عليها ان تدافع عنه ضد نفسها

قال شارل :

ـ أحسست بملل فظيع من غيرك

وابتسم ، وأنقد الشيال ، واشار الى حقائبه للسائق بتساهله المعتاد

لم تدرك منذ وقت طويل كم ان كل شىء معه سهل ، ويسير

وفتح لها باب السيارة ، ودار حول الســيارة ، وجلس الى

جوارها ، وأمســك يدها ، فى شىء من الخجل ، وقال : « الى البيت » بصوت الفرح الذى يطلقه رجل يعود الى داره .

وأحست بأنها وقعت فى كمين

ـ ولماذا ضقت بى ... وماذا أيضا .. ؟

كان صوتها يائسا . لكن شارل ابتسم لها كأن يتصور انهـــا تتدلل :

ـ اننى أجدك فى غاية الاكتمال . وأنت تعرفين ذلك

قالت :

ـ انى لا استحق ذلك

ـ فكرة الاستحقاق فى العواطف .. لا أوافق عليها .. لقـد أحضرت لك هدية جميلة جدا من نيويورك

ـ ماهى ؟

لم يشأ ان يقول لها . وألحت ولم يرض حتى وصـــل الى البيت

وعلت صيحة الراحة من بولين ، حين رأتهما ، لانها تظن ان كل رحلة جوية تنتهى الى الموت لا محالة ، واخـذا يفتحان حقائب شارل معا

لقد أحضر لها معطفا من الفيزون الرمادى الفاتح ، فى نفس لون عينيها ، وأخذ يضحك كطفل ـ وهى تعسة

وبعد الظهر ، اتصلت بانطوان ، وقالت انها لابد ان تراه ، وانها لم تجد الشجاعة للحديث مع شارل

واقفل السماعة قائلا :

ـ لن اراك قبل ذلك .

كان صوته غريبا .

وظلت أربعة أيام لاتراه . ولم تحس بالعذاب من شدة الغضب. كانت تنعى عليه أنه أقفل السماعة بقسوة ، وهى تكره كل أنواع الفلظة . لكنها كانت على يقين ـ او تكاد ـ انه سوف يتصـل بهـــا .

لقد ارتبطا فى تلك الليلة ، وأوغلا بعيدا فى الحب ، فأصـبحا خادمين لنفس الطقوس ، وقد أصبح كل شىء خارجا عنهمـــا ، ليس بأيديهما ومهما كانت نزوة كل منهما

قد تكون روح انطوان معادية الان ، ولكن جســـده أصبح صديقا لجسدها ، اصبح يحتاج للاكتمال بها ، واصبح يندم على غيابها . كان العكس يبدو لها مستحيلا .

كانت تنعى عليه خاصة انه لم يتركها تشرح له الامر .
كانت تستطيع أن تخبره عن تأخر الطائرة ، وعن قلقها ، وتثبت له حسن نيتها .
كان يمكن بلا شك أن تتخذ قرارها ، وتعلنه لشارل فى المساء . لكنها عانت مشقة كبيرة فى اتخـــاذ قرارها ، وحاولت أن تضع نفسها فى موقف الانفصال ، ولكنها كانت تخشى الا تستطيع ذلك.
ولم يتصل بها انطوان
واحست بالضيق والملل.
وأتى الصيف ، واصبحت الحفـــلات تقام فى الهواء الطلق ، وصحبها شارل الى عشاء فى « برى كاتلان »
كان انطوان مع ديانا وسط جمع صاخب ، تحت شـجرة ، وسمعت لوسيل ضحكة انطوان قبل ان تراه
وفكرت بسرعة شديدة :
« ها . انه يضحك ولست معه »
ولكن حركة من البهجة جذبتها اليه .
ومدت اليه يدها مبتسمة ، ولكنه لم يرد عليها ابتسامتها ، وانحنى بسرعة ، ثم أدار ظهره
وأصبح المكان الذى كان مضاء أخضر مظلما أسود . ورأت تفاهة الناس ، والملل الموحش فى هذا المكان ،وهذا الوسط وهذهالحياة كلها لولا انطوان ، وعيناه الذهبيتان ، وغرفته ، وتلك الســاعات الصادقة التى تقضيها معه ثلاث مرات فى الاسبوع ، لاصبح كل شىء فى هذا العالم الصاخب المضطرب مجـــرد ابتـــكار فظيع لديكوريست غير موهوب
وجدت كلير سنتريه مرعبة . وجونى سخيفا . وديانا نصف ميتة وتقهقرت خطواتها
وصاحت ديانا بصوتها الآمر :
ـ لوسيل ، لا تهربى هكذا . ان ثوبك رائع
أصبحت ديانا تحب الان اغراق لوسيل فى الملاطفة ، كانت تظن أن هذا هو السبيل لتزداد طمأنينة . لكن ذلك جعل جونى يبتسم وخاصة كلير ، التى اعترف لها جونى « بكل شىء يعرفه » لاشك أن المحيط الصغير احيط علما ! ففى هذه اللحظة بالذات وكان أنطوان ولوسيل يقفان حائرين باهتين معذبين ، الواحد بقـــرب الاخر ، بينما كانت النظرات التى ترمقهما بين الحسد والسخرية تلك النظرات التى يخصون بها العشاق الجدد

...ربت لوسيل :
...بى هذا منذ أمس . وأخشى أن يصبح الجو باردا
...ال جونى :
ـ يصعب الاصابة بالبرد بمثل هذا الثوب ، ويســهل بثوب ...ه كودوريد . اننى لم أر مثل هذا القدر الصغير من القمــاش يكسو ...ل هذا القدر الكبير من المساحة
...ل لقد قالت لى انها تغسل هذا الفستان كما تغسل المنديل وأظن أنه يستغرق وقتا أقل
ونظرت لوســيل تجاه كوكودوريد التى كانت فى الحق نصف ...ارية تتبختر تحت الاضواء
كانت رائحة الارض المبتلة ، رائحة عميقة ممتعة تصعد من غابة ...ولونيا
قال شارل :
ـ لا يبدو عليك الابتهاج ، ياصغيرتى
ولمعت عيونهما . كانت يده فوق ذراع جونى الذى كان يرمقها بنظرة هو الاخر . وانتبهت ديانا لصمتها ، فنظرت اليها
وقالت لوسيل فى نفسها : « انهم كلاب . كلاب . سيمزقوننى اربا بفضولهم »
وضحكت بضعف :
ـ أحس بالبرد . سأطلب معطفى من شارل
وقال جونى :
ـ سأحضره أنا ، ان الفتى الذى يحفظ المعاطف رائع
وعاد وهو يجرى
ولم تعد لوسيل تنظر الى انطوان منذ وصوله ، كانت تراه من جانبه كما يرى الانسان الطيور وهى تطير
وقالت كلير :
ـ ... ولكنه معطف جديد . انه رائع . رمادى باستيل . لم أره من قبل
قالت :
ـ أحضره لى شارل من نيويورك
وفى هذه اللحظة التقت بنظر انطوان . وما فهمته من نظرته جعلها تحس بالرغبة فى أن تصفعه
ودارت فجأة نصف دورة ، ثم ابتعدت
قالت كلير :

— ان الفيزون كان يجعلنى اكثر بهجة فى شبابى
ولكن ديانا قطبت جبينها . وبدا على انطوان ملامح الاعمى ، كما كانت ديانا تقول
لا يتحرك ، والوجه فارغ
قالت :
— أحضر لى كأسا من الويسكى
لم تستطع ديانا أن تسأله ما الذى حدث ، فاضطرت ان تأمره • وعزاها ذلك بعض الشىء
لم يقتربا خطوة واحدة طوال الليل ، ولكنهما فى نهاية السهرة وكانا على طرف احدى الموائد ، لان الجميع ذهبوا للرقص
لم يكن يستطيع الا يذهب اليها ، ولم يستطع الا أن تكون جانبه
كان الذى عاناه طوال يومين يحطمه تماما
كان يتخيلها بين ذراعى شارل • وهو يقول لها ما تقوله هى له
كان يتخيلها بوجه صريح ، ومع ذلك يكتم سرا قويا ، وجهها صريحا كتوما . منحته له من قبل ، فأصبح عنده كل طموحه .
كان يموت من الغيرة
ودار حول المائدة ، وجلس الى جوارها
لم تنظر اليه ، وفجأة ، تحطم ، ومال الى الامام
مستحيل ، ولا يمكن احتمال هذه الغريبة التائهة ، التى كانت عارية جواره منذ اسبوع فى ضوء النهار
قال :
— لوسيل ، ماذا تفعلين بنا ؟
قالت :
— وانت ؟
أصابتك نزوة ، ولابد ان انهى كل شىء فى اربع وعشرين ساعة
هذا مستحيل
احست باليأس والهدوء ، والفراغ
وقال بصوت متهدج :
— انها ليست نزوة . اننى اغار . لا استطيع فى ذلك شيئا لا احتمل الكذب ، ان هذا يقتلنى ، أؤكد لك •• ان •• ان
ومسح وجهه بيده ، وقال :
— قولى . منذ عاد شارل . هل .. هل؟
— هل نمت معه ؟ طبعا لقد احضر لى معطفا من الفيزون ، اليس كذلك ؟

قال :
— انك لا تعرفين ما تقولين
— لا . ولكنك تعرف . لقد رأيته على وجهك منذ لحظة . اننى اكرهك لذلك
وعاد بعضهم ، فنهض انطوان بسرعة
وقال :
— تعالى نرقص ، لابد ان اكلمك
قالت :
— لا . ان ما قلته صحيح . اليس كذلك ؟
— يجوز .. وقد يثير هذا ردودا فظيعة
— لكننى لا اريد ردودا فظة
واستدارت عنه
وفكر فى نفسه « انها تحملنى الخطأ . انها تخوننى ، وتحملنى الخطأ . » واستولت عليه موجة من الغضب ، فامسك بيدها ، وجذبها بشدة ، حتى أن بعض الرؤوس تحولت اليه
— تعالى نرقص
وقاومت .. امتلأت عيناها بدموع الغضب والالم
— لا ارغب فى الرقص
واحس انطوان انه سجين نفسه ، لا يستطيع تركها ولا يستطيع ارغامها
وفى نفس الوقت روعته دموعها • وقال فى نفسه سريعا : « لم أرها وهى تبكى • لكم أود لو بكت على صدرى لحزن قديم من أحزان الطفولة ، فأواسيها »
وقالت بصوت خفيض :
— دعنى يا انطوان



— ١٤ —

كانت السماء تمطر فى الخارج . وكانت قطرات المطر تتكسر على الطريق • مطر من أمطار الصيف المجنون الرطب ، كأنه من فعل حدائقى مضطرب

وكان الصباح قد اندس فى السجادة ، وهى راقدة على سريرها ، ولكنها لا تستطيع النوم

كان قلبها يضطرب • وتحس به يخفق . فيدفع الدم بضفطات مجنـــونة فى كل اطراف جســـمها ، واحست بالثقل فى اطراف أصابعها ، وكاد الدم يندفع من أصابعها متفجرا

ولم تستطع ان تهدىء من روعها . منذ ساعتين وهى فريســة الاشفاق واليأس ، بعد أن عادت من المطعم • فمنذ عادت من « برى كاتلان » ، وبعد أن لاحظت اختفاء « أنطوان » ، وشحوب « ديانا » والبهجة التى عمت المطعم بين الحاضرين لهذه الفضيحة الصغيرة .

وخففت من حدة غضبها ، ولم تدر حتى ما الذى دفعها الى الغضب

ان نظرة انطوان ، منذ حادث المعطف ، كانت وقحة متهجمة .

كانت تعنى انها حقيرة • ولكن أليست هكذا بشكل ما ؟

انها تعيش على حساب شارل ، وتقبل هداياه ممتنة ـ وان كانت تسعد بمجرد الرغبة فى الاهداء أكثر من اهتمامها بثمن الهدية ـ ولكنها على اى حال تقبلها . وهى لا تستطيع ان تنكر ذلك . وهى لا تفكر فى ذلك ، طالما أنها تظن ان من الطبيعى ان ينفق عليها رجل يستطيع الانفاق ، رجل تحتفظ له عاطفة التقدير

ان انطوان اخطأ فى ظنه .. لقد حسب انها تقيم مع شــارل لهذا السبب ، وأنها هجرته هو لهذا السبب أيضا ، وظن أنها قادرة على مثل هذا النوع من المحاسبات ، وقد حكم عليها ، وأدانها واحتقرها

وكانت تعلم ان الغيرة يمكن ان تؤدى الى مثل هذه التبريرات ، والاعمال ، والاحكام الدنيئة ، ولكنها لا تستطيع ان تحتمل ذلك من انطوان بالذات حتى ولو كانت الغيرة تقتله

كانت تؤمن به ، وتؤمن بأن شيئا يشبه القرابة يربطهما ، وشيئا

أقرب الى الخيانة الاخلاقية المشتركة ، ولكنه يظن أنها بخطئها قد غدرت به • فماذا تستطيع أن تقول له ؟

صحيح ان شــــارل قد اهدانى هذا المعطف ، وان الهدية قد اسعدتنى ، وصحيح اننى شاركته مرقده منذ عودته ، كما يحدث بيننا بين الحين والاخر . وصحيح ان هذا لا علاقة له بما حدث بينى وبينك ، لان ما يحدث بيننا هو العاطفة المجنونة ، والعاطفة المجنونة لا يعادلها شىء اخر

ان جسدى لا يتمتع بالخيال ، ولا الذكاء الا مع جسدك ، وعليك ان تعلم ذلك

ولكنه لم يفهم ذلك . ولا يمكن ان يفهم الرجال مثل هذا الاحساس عن المرأة على الرغم من انه يتكرر مئات وآلاف المرات وغالبا مايتأكد فى اغلب الاحوال . واحست انها وقعت فى ورطة .. وانهـــا لا تستطيع ايقاف قلقها

هل احدثه عن علاقته بديانا ، اننى لا احس بالغيرة . فهـل اصبحت وحشا من اجل ذلك ؟ وحتى لو كنت وحشا ، فهـل أستطيع تغيير نفسى • مطلقا »

لكنهااذا لم تتغير فستفقد انطوان

وجعلتها هذه الفكرة ترتجف

ـ ان تعودى الى سريره كما تتقلب سمكة على العشب

كانت الساعة قد بلغت الرابعة صباحا

ودخل شارل غرفتها . وجلس فى هدوء على السرير ، وملامحه مشدودة• كان فى ضوء الفجر الطازج يبدو عليه حقا انه فى الخمسين والروب دى شامبر مع الكوفية على طريقة الرياضيين لا تفيد شيئا

وضع يده على كتف لوسيل ، وظل ساكنا لحظة بلا حراك

ـ الم تنامى بعد ؟

وتململت • حاولت أن تبتسم • وهمت أن تتهم الطعام فى مطعم « برى كاتلان » ولكنها لم تعد تستطيع شيئا • فاكتفت باقفال عينيها وقال شارل

ـ لعلنا .. كان يجب ! وتوقف لحظة يتمالك صوته !

اليس من الافضل ان تسافرى قليلا ؟ لوحدك ، او معى . الى وسط فرنسا ؟ ان البحر سيشفيك من كل شىء .. كما تقولين لى دائما

ولم تسأله عما يقصد بكلمة الشفاء • شفاء من أى شىء .. ؟

ولم تكترث لان سؤال شارل لم يحمل مثل هذه الاشارة

وقالت بصوت حالم :

– وسط فرنسا .. وسط فرنسا !
ورات تحت جفونها التى اغلقت بعناد ، موج البحر ينطلق الى البلاج ، ورات لون الرمل ، والماء ، حين تهجر الشمس البلاج
هذا هو كل ما تحبه · هذا هو ما تحتاج اليه بلا شك
وقالت له :
سأذهب معك حين تستطيع
وفتحت عينيها دون أن تراه ، ولكنها قلبت رأسها
ودهشت لحظة ، قبل أن تحس – فى شىء من اللوعة – بسخونة دموعها على خدها

ولم يكن على شاطىء الكوت دازور فى بداية مايو ناس كثيرون ، كان كل شىء يبدو ملكها ·· المطعم الوحيد المفتوح ، والفندق ،والبلاج
وبعد ثمانية ايام ، بدأ الامل يداعب شارل من جديد
ولوسيل تقضى الساعات الطويلة تحت اشعة الشمس ، تقـــرأ كثيرا ، وتحدثه عما تقرأ ، وتبتلع السمك المشوى ، وتلعب الورق مع بعض الازواج القليلة على البلاج
كانت تبدو عليها السعادة . أو على الاقل ، الرضا
ولكنها كانت تفرط فى الشراب فى الليل ، كما كانت فى احدى الليالى متوحشة حين « تعانقا » على غير الطريقة التى كان يعهدها منها
ولم يعرف شارل أن كل هذا الذى تفعله لوسيل كان يرجع الى شىء واحد هو الامل فى أن ترى أنطوان مرة ثانية
لقد كانت تريد ان تكسب بشرتها تلك السمرة البرونزية التى يعشقها انطوان
وكانت تفرط فى الاكل لانه يفضل فى جسدها بعض الاستدارة اكثر من الهزال
وكانت تقرأ الكتب التى تنشرها دار نشره حتى تســـتطيع ان تتحدث معه عنها
وكانت تشرب لانها تريد ان تنساه ، وحتى تستطيع النوم
ولكنها لم تكن تجرؤ أن تعترف لاحد ، حتى لنفسها بهذا الامل
كانت تعيش كحيوان مستسلم ، يكاد يتمزق قطعتين ، لكن أحيانا وفى لحظات خاطفة حين تفقد انتباهها ، وتتوقف عن هذا الاقبـــال الجشع على اللذائذ الحسية ، وحين تنسى أن تلاحظ صفاء المياه ،

وسخونة الشمس ، كانت ذكرى أنطوان تسقط عليهـــا كالحصى ، فكانت تستسلم لها بمزيج من السعادة واليأس ، وقد مدت ذراعيها على البلاج ، كأنها قد صلبت ، ليس بالمسامير فى بطن يديها ، ولكن بشظايا الذاكرة اللعينة فى وسط قلبها تماما
وتعجبت كيف تحس بقلبها ، وقد خوى من شدة الصـــدمة ، وكيف عاد ، وهو خاو الى الامتلاء الفظيع
ماذا تهم هذه الشمس ، وماذا يهم هذا البحر ، بل وهذه البهجة الجسدية ، مادام أنطوان غائبا ، لا يستطيع أن يقاسمها كل شىء
كان يمكن ان تسبح معه ، وان تتعلق بشعره الاشقر ، الذى يزيد البحر من صفرة لونه . وكان يمكن ان تقبله بين موجتين ، وان تحبه وراء الشاليهات الخالية حتى الان ، على بعد خطوتين ، وكان يمكن ان تظل معه طوال الليل دون ان تتحرك ، وهى تنظر الى طيـــور البحر وهى تقفز على السقوف الوردية
اذن لاصبح الوقت شيئا اخر غير هذا الشىء الذى تحاول ان تقتله
فلو أنه معها لاصبح الوقت شيئا عزيزا تمضغه ، وتدلله ، وتمنعه من ان يمضي وينقضى
ولم تستطع الاحتمال
فقامت تائهة ، واتجهت الى البار ، فى مكان قصى لا يســـتطيع شارل وهو فى مقعده أن يراها فيه
وطلبت بسرعة كوكتيلا ابتلعته جرعة واحدة · ثم كوكتيلا ثانيا ·
ولابد ان البارمان الساخر ظن انها مدمنة مخجلة . ولكن ماذا يهم !
لابد انها ستنتهى الى ذلك المصير فى يوم من الايام
وعادت الى الشاطىء ، وتمددت بالقرب من اقدام شـــارل ، واقفلت عينيها ، وأصبحت الشمس بيضاء شهباء ، ولم تعد تستطيع ان تميز بين هذه السخونة التى تثقل جلدها وبين تلك الحـــرارة التى تجرى تحت جلدها
ولم تستطع أن ترى تحت جفونها سوى صورة أنطوان غائمـــة عاجزة عن انزال العذاب بها
وظلت بضع ساعات كأنها نبات مهجور ، او حيـــوان متروك ، واستطاعت ان تلتقط انفاسها قليلا
وكانت السعادة تبدو على شارل . وكان هذا كثيرا
وحين رأته ، يسير نحوها ، فى بنطلونه الفلانيل ، والفولار المطوى بعناية داخل ياقة قميصه ، وحذاء الموكاسان ، اندفعت فى ذهنهـــا

بشدة صورة انطوان ، بقميصه المفتوح على صـــــدره . ورجليه النحيلتين الطويلتين فى بنطلون قديم من التوال ، وقدميه الحافيتين، وشعره يصل الى عينيه

لقد عرفت عددا غير قليل من الشبان ، ولا شك ان ما تحبه فيه ليس هو الشباب بالذات

كان يمكن أن تحبه حتى ولو كان عجوزا

ولكنها تحبه هكذا ،وهو فى هذا السن ،وهو أشقر ، وهو متطهر كما يحبها وهى شهوانية ، وتحبه لانه احبها ، وتحبه لانه لم يعـد يحبها الان

هكذا كان حبها ، قابعا كالجـــدار حائلا بينها وبين الشمس والسهولة ، بل وتذوق الحياة

انها تحس بالعار من اجل ذلك

ان مذهبها الوحيد هو السعادة ، ولا يمكن غفـــران ان ينزل الانسان الشقاء بنفسه

وكان هذا سببا من اسباب سوء التفاهم بينها وبين المجتمع ، « بل وسببا من اسباب العتاب المتصل »

وخطر لها ، وهى متفجرة :

ـ « انتى الان ، ادفع الثمن »

وكان الضجر عميقا ، حتى انها لم تكن تؤمن بالديون ، وحتى ان المخاوف الاخلاقية والاجتماعية هجمت عليها ، وحتى ان الخوف العام ـ الذى كانت تراه عشرات المرات عند الاخرين ، فى ان تفسد حياتها ، سبب لها ارتدادا خفيفا ، كانها تواجه مرضـــا يسببه الخجل

لقد اصابها هذا المرض

انها تعانى ..

تعانى من غير أية رغبة فى أن تشكو من المرض والمرض من غير شكوى افظع انواع المرض

وكان على شارل ان يعود الى باريس

فصحبته الى المحطة ، ووعدته بالتعقل ، وكانت رقيقة معه

سوف يعود بعد ستة ايام ، وسوف يتصل بها كل ليلة

وقد فعل ذلك

ولكن فى اليوم الخامس ، قرابة الساعة الرابعـة ، حين رفعت سماعة التليفون ، سمعت صوت .. انطوان ..

وكان قد مر عليها خمسة عشر يوما دون أن تراه

ـ ١٥ ـ

حين خرج انطوان من مطعم « برى .. كاتلان » ، أخذ يعبر غابة بولونيا ، ويحدث نفسه كمجنون

وجرى وراءه سائق سيارة ديانا وعرض عليه أن يوصله ، ولكنه دهش دهشة كبيرة . حين أخرج من جيبه ورقة بخمسة آلاف فرنك ، وهو يدمدم :

ـ ليس معى سوى هذه الورقة !

وبقدر ما كان أنطوان يحس برغبة قوية فى انهاء علاقته مع ديانا ، كان يتخيل انه لابد من أخطار العالم كله بذلك

وصعد الى شارع « جراند ارميه » بخطوات سريعة ، وقال لاحدى المومسات وهى تناوشه انه يعرف كثيرات مثلها ، ثم عاد على عقبيه لكى يتأسف لها . ولكنها كانت قد اختفت . ولعلهـــا رضيت بما قاله . فأمضى نصف ساعة يبحث عنها بلا نتيجة

ودخل احد البارات فى الشانزليزيه ، وحاول أن يفقد وعيه ، ثم اصطدم بسكير آخر بعد حديث قصير فى السياسة . والسبب أن الشقى كان يحتل بعناد « الجوك موكس » ، وأن انطوان كان قد قرر أن يدير عشرين مرة تلك الاسطوانة التى كان يرقص على نغمتها ، مع لوسيل ، وكانا يسمعانها . ويدندنان بلحنها

وقال فى نفسه :

« أنا تعس ، اذن لابد من أن أكون جديرا بالتعاسة »

وبعد فوزه فى الملاكمة . أخذ يلعب الاسطوانة ثمانى مرات بين ضيق الحاضرين . واضطر فى النهاية أن يترك بطاقته الشخصية للبارمان لانه لم يكن يحمل مليما واحدا

وهكذا تصرف كشاب فى مقتبل العمر

فالتعاسة تمد الانسان أحيانا بقوة وحيوية تشبه تلك التى تعطيها المنشطات

لكن ديانا كانت جالسة فى سيارتها أمام بيته

وقد تبين « الرولز » من بعيد ، وأراد أن يعود على عقبيه . لكنه فوجىء بالســـائق ، الذى كان يغالب النوم حتى هذه

الساعة ، حتى يكمل صديق السيدة الصغير سـهرته ، وفتح
السائق باب السيارة ، ونزلت ديانا دون ان تنطق بكلمة
ولابد انها أعادت صبغ وجهها فى السيارة ، فقد انعكس على وجهها
ضوء الفجر فبدت شفتاها قانيتين ، وكانت ملامحها التى عنيت
بصبغها تبدو عليها اللامبالاة ، كأنها مزيج من نضرة الشباب ،
والاضطراب ، والخطأ

والحق انها أخطأت حين جاءت فى الفجر تسترد حبيبهـا ،
تماما كما اخطأت منذ عامين ـ واحبته

ان هذا الخطأ الذى ظل حتى الان يرن كالموسيقى الخلفية فى
فيلم حياتها ، أصبح الان يشبه قرع طبول وحشيا

لقد رأت نفسها تنزل من سيارتها . ورأت نفسها وهى تمد
يدها الى يد انطوان وهو يساعدها على النزول من السـيارة ،
ورأت نفسـها تجاهد لكى تحتفظ لبضع لحظات بدور المرأة
المحبوبة قبل ان تدخل فى هذا الدور المجهول والمرعب .. دور
المرأة المهجورة

وابتسمت بغرابة لسائقها (وهى تصدر له أوامرها بالانصراف) ،
وكأنها تعرف أنه آخر شاهد عزيز على سعادتها

وقالت ديانا لانطوان :

ـ هل أثقل عليك ؟

وهز أنطوان رأسه . وفتح لها باب غرفته . ثم اختفى

انها المرة الثانية التى تجىء فيها الى غرفته

كانت المرة الاولى بعد تعارفهما . وكانت ديانا سعيدة لتمضية
ليلتها الاولى عند هذا الشاب التائه الذى لايجيد الاناقة . وبعد
ذلك ، منحته السرير الكبير فى شارع كاميون ومنحته الفخامة ،
وطقوسها ، لان هذه الغرفة ـ فى النهاية ـ ضيقة ومتعبة

انها الان تعطى أى شىء مقابل النوم على هذا السرير ، الذى
يشبه الاريكة .. مقابل ان تضع ملابسها على هـذا الكرسى
القبيح الذى يعرقل حركتها فى هذه المساحة الضيقة

واقفل انطوان شيش النافذة ، وأضاء مصـباحا أحمر ،
وتحسس وجهه بيده

كانت ذقنه طويلة ، وكان يبدو كأنه فقد وزنه فى خلال ساعات
قليلة ، وباختصار كان يبدو عليه مظهر الشحاذ ، هذا المظهر الذى
سرعان مايعكسه الاسى بسهولة على الرجال.

ولم تدر ديانا ماذا تقول له

منذ رحيله المفاجىء ، اكتفت بترديد هذه الجملة :

ـ لابد أن يفسر لى الحكاية ؟

وجلست على السرير مشدودة القامة

وهمت بأن تتمدد على السرير لتقول له :

ـ لقد اشتقت لرؤيتك . هذا كل ما فى الامر . كنت قلقة عليك .
ولكننى الان يغلبنى النعاس . دعنا ننام

لكن انطوان ظل واقفا وسط الغرفة . كان ينتظر . وكان كل
شىء يدل على أنه يوضح الموقف . أو على الاصح يحطمها ، وبالتالى
يؤلمها أشد الالم .. وقالت :

ـ كان انصرافك سريعا

ـ انى اعتذر

ـ واخذا يتحدثان كممثلين . كان يحس بذلك ، وانتظر حتى
يستعيد انفاسه ، ويسترد قوته ليقول لها ، ذلك الرد المفجع ،
ولكنه الضرورى :

ـ كل ما بيننا انتهى

وانتظر بضع لحظات لعلها تعاتبه ، أو لعلها تذكر لوسـيل
فيغضب ويمده الغضب بما يحتاج اليه من القوة لكى يصبح متوحشا

لكنها كانت رقيقة ، مستسلمة ، تكاد تكون خائفة

وقفز الى ذهنه خاطر مرعب : انه لم يعرفها من قبل ، ولم
يبذل فى سبيل معرفتها جهدا

لعلها تظنه كما يظن فى نفسه : تظنه عاشقا مخلصا ، ومخلوقا
لا يمكن الامساك به

وخطر له أنها لا تتمسك به الا لانه يرضيها جسديا ، ويجرح
غرورها « لانها لم تستطع أن تخضعه تحت رحمتهـا مثل غيره
من الذكور »

ولكن ماذا لو كانت هناك دوافع أخرى ؟

ماذا لو انها بكت فجأة

ولكن هذا غير متصور . فالاسطورة الرائجة فى باريس ، حول
ديانا ، والتى سمع عنها ، انها قوية الشكيمة

وفى لحظة ، لم يعد احدهما يتعرف على الاخر

فتحت حقيبتها ، واخرجت علبة المساحيق الذهبية ، ومرت
على وجهها بالطلاء . حركة لا تفعلها الا امرأة استبد بها الجنون
لكن انطوان تخيل انها حركة امرأة جافة الطبع

وقال انطوان لنفسه :

— « ان لوسيل لا تحبنى ، ولذلك لا احد يستطيع ان يحبنى »
واشتعل فيه سوء الظن الذىتشمره التعاسة ، واشعل سيجارة .
وألقى عود الثقاب باضطراب ونفاد صبر فى المدفأة ، وزاده الملل اضطرابا ، فاشتعل غضبه
ونسيت ديانا أنطوان · ونسيت عاطفتها نحوه ·· لم تعد تهتم الا بنفسها
بديانا ميربك .. بتلك الطريقة التى تصرف بها رجل معها
رجل هو حبيبها،يهجرها بلا سبب واضح ، وسط حفل ساهر ، وامام كل اصدقائها
وتناولت بدورها سيجارة بيد مضطربة . فمديده بعود ثقاب
كانت رائحة الدخان بغيضة ، لقد افرطت فى التدخين
وادركت فجأة ان هذا الصوت المضطرب المتعـــدد الذى يطن فى اذنيها منذ لحظات ، دون ان تحدده ، ليس سوى زقزقة العصافير فى الخارج . لقد صحت العصافير ، مشبوبة الفـرح ، تحيى اول شعاع للشمس فوق باريس
ونظرت الى انطوان :
— هل استطيع ان اعرف سر هذا الهرب ؟ أم ان هذا ليس من حقى ؟
وقال انطوان (وهو ينظر اليها فى وجهها ، وقد علت وجهـــه تكشيرة لم تعهدها من قبل) :
— من حقك ان تعرفى . انى احب لوسيل .. لوسيل سان ليجيه
وقال الاسم كاملا بعناد . كانه يخشى خطأ ما فى الاسم .
وأخفضت ديانا بصرها · فرأت حقيبتها ·· حقيبة السهرة ، وقد تمزقت من جانبها ، وعليها أن تغيرها ، ونظرت الى الخرق بغباء ، وانتظرت ان تستعيد ثباتها . انتظرت ان يطلع الصـــــباح .. اى شىء . ان يدق التليفون ، ان تنفجر قنبلة ذرية ، ان يعلو صراخ فى الشارع لكى يغطى صراخها الصامت
لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، فالعصافير ما زالت تزقزق،
أصبحت هذه الضجة ، وهذا الاضطراب فظيعين
قالت :
— كان عليك أن تخبرنى مبكرا · على الاقل
وقال انطوان :
— لم اكن اعرف . لم اكن متأكدا . كنت احسب اننى اغار عليها

ددها . ولكننى اعرف الان انها لا تحبنى . وانا شـــقى تعس على الدوام
كان يمكن أن يستمر · كانت هذه هى المرة الاولى التى يتحدث معها عن لوسيل لشخص ثالث
كان يشعر بسعادة أليمة ، ونسى ــ بكل ما يعنيه نسيان الرجال ــ انه يتحدث عنها الى ديانا
ولم تفهم ديانا شيئا مما قاله سوى كلمة « أغار عليها »
وقالت :
— ولماذا تغار ؟
لا يمكن ان يغار الانسان الا من شىء عنده . كما قلت لى عشر مرات . هل كنت حبيبها ؟
ولم يجب
وعلا الغضب فى رأسها ، ليخلصها من الموقف
— هل تغار من بلاسان لينير ؟ انك لن تستطيع تحملها بمفردك ، يا عزيزى الشقى انطوان ، على أى حال ، اذا كان هذا سوف يغريك
وقال انطوان بجفاف :
— ليست هذه هى المسألة
وفجأة احس بكراهية ديانا لانها تحكم على لوســـيل بنفس الطريقة التى كان يحكم بها عليها منذ اربع ساعات
عليه أن يمنعها من أن تحتقرها . لقد أعترف لها ، وهذا يكفى ، وعليها ان تذهب ، وان تتركه مع ذكرى لوسيل ، فى « برى كاتلان »
وعيناها مليئتان بالدموع
هل بكت لانه كان يؤلمها فى قبضة يدها ، ام لانها تتمسك به ؟
وقالت ديانا بصوت مبتعد :
— اين رايتها ؟
— نعم . بعد الظهر .
وتذكر وجه لوسيل فى الحب ، تذكر جسدها ، صوتها ، كلشىء فقده بسبب حماقته ، وبسبب تشدده ، واحس بالرغبـــة فى ان يضرب نفسه
لن يتردد وقع خطوات لوسيل على السلم
ولن ينعم بما بعد الظهيرة ، الملتهبة ، ولا بالاسود والاحمر ، لا شىء بعدها
ومد وجهه الملئ بالحنين ، الملئ بالوجد ، ناحية ديانا ، حتى انها اضطرت الى التزحزح الى الوراء

وقالت :

– لا أظن انك تحبنى .. ولكننى اظن انك تقـــدرنى بعض التقدير . أخشى ..

ونظر اليها نظرة صماء ، واكتشفت فى نظرته عالما جـــامدا ، رجوليا ، عالما لا يستطيع الرجل فيه تقدير عشيقته .. لانه لا يحبها

لا شك أنه كان فيما مضى يجـــاملها ، كما أنه كان يحترمها . ولكنها كانت بالنسبة له فى أعماقه ، وغرائزه ، أشنع المومسات

لانها قبلت ان تعيش معه عامين دون ان تطلب منه ان يحبها ، ودون ان تقول له ، او ان يقول لها ذلك .

وفى عينى أنطوان الصفراوين استطاعت ديانا أن تقرأ – متأخرة – طفولة متوحشة : عاطفية ، مطلقة ، تشتهى كلمات الحب ، ومشاهده وصرخاته

ان الصمت والاناقة لا يعنيان شيئا عند الشباب .

وكانت تعلم ، فى نفس الوقت ، انها لو تقلبت متشفعة على هذا السرير ، كما ترغب الان ، فلسوف يجن من الغضب ، بل ويحس ببعض الضجر

لقد تعود على شخصيتها ، وعلى هيئتها التى اعتادت عليها ، والتى كانت تظهر بها بعناد منذ عامين ، ولا يستطيع قبول شيء آخر .

ان ارتفاع راسها كلفها غاليا

لكن هذه الكبرياء ، التى تجعلها تجلس مشدودة القامة ، فوق السرير ، فى الفجر ، هذه الكبرياء التى تميزت بها شخصيتها فى عالم المجتمع ، والتى كادت تنساها تماما – لقد اكتشفت فى هذه الكبرياء الحليف اللعين ، الحميم ، الغالى

وكأى فارس أصيل يكتشف ان ثلاثين عـــاما من التوازن استطاعت ان تجعله ينجو من تحت اوتوبيس ، رات ديانا لدهشتها ان كبرياءها هذه الثروة المجهولة ، او على الاقل التى لم تستغل جيدا ، يمكن ان تنقذها من الاشنع : فرات ان تتصرف على اساس أن انطوان لم يعد يحبها ، وانها تستطيع أن تتصرف كما لو انهـــا ترفض هذا الوضع

فقالت بصوت هادىء :

– ولماذا تقول لى ذلك الان كان يمكن ان تستمر وقتا ؟ اننى لم أكن اتصور شيئا كبيرا . أو على الاصح لم أعد أومن بذلك بعد الان .

وقال أنطوان :

– أنا تعس الى حد اننى لم أعد أستطيع الكذب

واكتشف مندهشا ان هذا صحيح .

لم يعد يستطيع الكذب طوال الليل على ديانا .

ولم يعد يستطيع ان يغريها ، وان يقنعها بأنه لو كان متأكدا من العثور على لوسيل فى اليوم التالى ، فانه سيحبها

ان السعادة تسمح بكل شيء . وقد فهم أنطوان فى لحظة واحدة لوسيل . وفهم استرسالها ، وقدرتها على التخفى ، وهى نفس الاشياء التى كان يأخذها على لوسيل طوال الاسابيع الاخيرة

ولكن اينتهى كل شيء . فقد جرحها جرحا لا يندمل ، ولم تعد تريده .

فماذا تصنع هذه المرأة الاخرى عنده ؟

وقالت ديانا برقة .

– وسارتك العزيزة . ماذا حدث لها بين كل هذا ؟

هل ماتت وشبعت موتا ؟

لم يجب .

نظر اليها بغضب شديد ، لكنها فضلت هذه النظرة الغاضبة على تلك النظرة الهادئة ، البعيدة ، التى كان يرمقها بها منذ لحظات

كانت تندفع – بغموض – تجاه السقوط ، تجاه عدم التفاهم ، تجاه الشر تجاه ما لا يمكن غفرانه ، واحست انها بذلك كله تنقذ نفسها

وقال أخيرا :

– أظن أنه من المستحسن ان نفترق . اننى لا اريد ان نفترق على شر . لقد كنت طيبة دائما معى .

ووقفت تقول :

– لم أكن طيبة فى يوم من الايام . ولم أكن طيبة مع أحد

لقد كنت اعتبرك لطيفا فى بعض الاحيان . هذا هو كل شيء

واحست انها تتصلب أمامه ، وتنظر اليه فى وجهه ، ولم يستطع ان يعلم ان مجرد عبور طيف واحد من الذكريات ، او طيف من الاسف فوق وجهه ، الاسف لانها ترحل ، بالرغم منه ، كان كافيا ليجعل الدموع تنهمر من مآقيها

ولكن لم يكن يأسف ، واكتفت بتقديم يدها ، واكتفت بأن تراه ينحنى آليا ناحية اليد ، واختفى تعبير العذاب المكتوم الذى احست

به ، وهى ترى رقبته المائلة نحوها لاخر مرة ، اختفى كل ذلك حين رفع رأسه

وهمست : وداعا

واصطدمت بالباب صدمة خفيفة

وهرولت الى السلم

كان يسكن فى الدور الثالث وحين وصلت الى الدور الاول أسندت وجهها الشهير على الحائط الرطب القذر ، واستندت عليه بيديها الجميلتين

ذلك الوجه وهاتان اليدان التى لم يعد لها بعد الان فائدة.



- ١٦ -

وامضى انطوان ستة عشر يوما وحيدا .

كان يسير وحده على قدميه ، لا يحدث أحدا ، ولم يعد يندهش حين يلتقى بأحد من معارف أو صديقات ديانا ، فلا يعيره اهتماما

كان يعرف قاعدة اللعبة : لقد قدمته ديانا الى وسط لا ينتمى اليه ، ولابد ان يطرد منه آليا بمجرد انفصاله عنها ٠

انه القانون ٠ بل ان الاهتمام السريع الذى أبدته كلير ، ذات ليلة حين قابلته ، بدا له أن فيه شيئا من المبالغة ٠٠

ومع ذلك ، فقد أخبرته كلير أن لوسيل وشارل يقيمـــان فى سان تروبيز ٠

ولم تندهش حين عرفت ان انطوان يجهل ذلك

كان واضحا انه هجر امرأة ، وفقد أخرى الى الابد

أضحكته هذه الفكرة قليلا ، على الرغم من انه لم يعد يحس بالرغبة فى الضحك طوال هذه الايام

كانت جملة للشاعر أبولينير تسيطر عليه : « أهيم فى باريس الفاتنة دون رغبة فى أن أموت على أرضها ٠ وقوافل السيارات تدمدم ٠٠»

ولم يستطع ان يذكر بقية الجملة ، ولم يحاول تذكرها .

صحيح ان باريس اصبحت رائعة ، حادة ، زرقاء ، شقراء ، لكن صحيح أيضا انه لم يكن يرغب فى ان يموت على ارضـــها ، ولا أن يحيا كذلك فيها

بل فوق ذلك ، فلوسيل على شاطىء البحر الذى قالت له انها تعبده ، ولا بد أنها سعيدة ، من جديد ، لانهـــا خلقت لذلك .

ولعلها ايضا تخون شارل مع شاب جميل

أما ديانا فقد ظهرت صورتها – كاعلان – مع دبلوماسى كوبى ، فى احدى حفلات افتتاح الباليه ٠

أما هو فيقرأ ، ولم يعد يشرب ، واحيانا فى الليل يتقلب من الغضب فى سريره ليفكر فى لوسيل

كان يبدو له كل ذلك كأنه قدر مكتوب

لم يعد هناك أى أمل ، فلم تعد ذاكرته تسعفه بالسبب

كل ما يتذكره هو متعة لوسيل ، ومتعته الخاصة ، وهى ذكريات كانت تجتاحه • ولا تطمئنه ، لان الانسان لا يستطيع أن يتأكد تماما من شدة متعة زميله ، ولانه لا يستطيع ان يحققها ، او يحقق اكثر منها مع شخص غريب . لو انه عرف لوسيل لا يمكن تعويضها فى اللذائذ ، فهو لا يعرف أن لوسيل ترى فيه ذلك أيضا

وكان يتذكر احيانا وجهها الغاضب ، حين وصل متأخرا ، ويتذكر جملتها :

« اتدرى ؟ . أحس انني سأحبك الى الابد » .

ولكنه يظن الان أن الحظ خانه ، لانه كان عليه أن يهتم بروح لوسيل اكثر من اهتمامه بجسدها ، لانه اذا كان قد امتلكها جسدا . فقد هربت منه روحا

صحيح انهما يضحكان معا ، والضحكة المشتركة ثمرة الحب، لكن هذا وحده لم يكن يكفى

ولم يكن ليفهم ذلك ، الا حين استعاد ذكرى هذا الحنين الغريب الذى استولى عليه وسط غضبه ، حين اكتشف الدموع فى عينى لوسيل ، وهما يجلسان فى مطعم « برى ــ كاتلان »

وحتى يعشق رجل وامراة ، احدهما الاخر عشقا حقيقيا ليس يكفى أن ينعما بلذة الجسد ، ولا أن يسعدا بالضحك معا ، بل لا بد لذلك أن يتعذبا معا

كان يمكن ان تتحمل العكس . ولكنها لن تتحمل أى شىء بعد الان ، لانها اختفت ، ولكنه كان يتوقف فجأة عن الحوار ، أو الشرح الذى كان يدور فى عقله بينه وبينها عشرين مرة فى كل صباح ، فيقف عن مقعده ، أو يتوقف عن المسير

يبدو ان هذه الحالة لا تنتهى

وفى اليوم الخامس عشر ، قابل جونى ، الذى كان ينعم بالاجازة ويتجول فى مقهى « الفلور » وتبدو عليه السعادة لرؤيته

وجلسا على نفس المائدة ، وتناولا كأسا من الويسكى ، وتسلى أنطوان من الطريقة الخليعة التى يحيى بها جونى أصدقاءه كان يعلم انه جميل ، وانه اشقر ، لكنه لم يكن يعلم شيئا آخر

وسأله جونى :

ــ كيف حال لوسيل ؟

ــ لا اعرف شيئا على الاطلاق •• واخذ جونى يضحك

ــ كنت أعرف ذلك ، انت على حق فى الانفصال . انها مخلوقة

لطيفة ، ولكنها خطيرة ولكنها قد تنتهى الى ادمان الخمر ، وشارل يدللها

ــ ولماذا ؟

وراقب انطوان صوته ، فاكتشف اللامبالاة

ــ لقد بدات . فقد شاهدها احد اصدقائى تترنح على البلاج. وليس لك ان تندهش من ذلك

وأخذ يضحك من جديد ، أمام التعبير الذى ظهر على وجه أنطوان

ــ ما هذا . الا تعلم انها مجنونة بحبك . ان هذا واضح من على بعد عشرين خطوة . فماذا دهاك ؟

وضحك انطوان . لم يستطع ان يتوقف عن الضحك

لقد جن من السعادة . وجن من الخجل . لكم هو غبى . لقد كان شديد الغباء • انها تحبه ، بالتأكيد • انها تفكر فيه • كيف ظن انهما كانا سعيدين شهرين كاملين دون ان تحبه ، كيف كان متشائما الى هذا الحد ، أنانيا ، غائبا عن الوعى ؟

انها تحبه . انها تقدم على فقده . انها تشرب فى السر ولهذا السبب • بل لعلها ظنت انه نسيها ، وهو الذى يفكر فيها طوال هذين الاسبوعين ولعلها ايضا كانت تعسه بسبب حماقته الطائشة

لابد أن يراها فورا . ولابد ان يشرح لها كل شىء . وسيفعل كل شىء تريده ولكن سيأخذها بين ذراعيه ، ويسألها الصفح ويقبلها ساعات طويلة

أين سان تروبيز ؟ وينهض من مقعده

وقال جونى :

ــ ولكن قل لى • هدىء من روعك • ان منظرك يشبه المجنون الغاضب يا صديقى العزيز

وقال انطوان :

ــ معذرة • لابد أن أتحدث فى التليفون

وطار انطوان الى منزله ، وتشاجر مع سيدة فى التليفونات • لانها تأخرت فى شرح سبب التعطيل فى الاتصال الاوتوماتيكى • وطلب ثلاثة فنادق ، وعلم من الفندق الرابع أن مدموازيل سان ليجيه فى البلاج ولكنها سوف تعود ، وطلب رد المكالمة ، واستقر على سريره ، يده على سماعة التليفون ، كيد الفارس لانسيلو دى لاك على مقبض سيفه ، وقرر ان ينتظر ساعتين ، ست ساعات . كل عمره • وهو سعيد سعادة لم يحسها فى حياته من قبل

وفى الرابعة انطلق التليفون ، فرفع السماعة

– لوسيل ؟ انا انطوان
– انطوان
وكأنها تحلم
– لابد ٠٠ ضرورى أراك ٠ هل استطيع المجىء ؟
– نعم ٠ متى ؟

ومن صوتها الهادىء ، واجاباتها القصيرة ، أحس بارتداد هذا الشىء المريع الوحشى الذى كان يعذبه ، ويهزه بعنف ، ويشقيه طوال الخمسة عشر يوما ٠٠ أحس بهزيمة هذا الشىء

ورأى يده توضع على السرير ٠ ودهش لانه لا يرتجف
قال :
– لابد أن هناك طائرة ما ٠ سأذهب الان ٠ هل تأتين لى فى نيس ؟
– نعم « ترددت ثم أضافت : »
– انت فى البيت !

وردد اسمها ثلاث مرات : « لوسيل ، لوسيل ، لوسيل ٠٠ » قبل أن يجيبها بالايجاب
وقالت :
– اسرع ٠٠ ثم أقفلت

وفكر فى هذه اللحظة فقط فى انها قد تكون مع شارل ٠ كما تذكر انه لا يملك أجرة الطائرة ٠ ولكنه كان مشتتا ٠ انه يستطيع سرقة محفظة أحد المارة ، أن يقتل شارل ، أن يسوق طائرة بوينج فى السابعة والنصف ، كان يمكن أن يستمع لنصيحة المضيفة لينظر الى اليسار ، ويعجب بمدينة ليون ، لو كان يحس بأقل رغبة فى النظر

واقفلت لوسيل كتابها ، بعد أن وضعت السماعة ، وأخذت مفاتيح السيارة التى أجرها شارل ، ونزلت

وفاجأت نفسها فى المرآة الكبيرة التى تغطى مدخل الفندق ، وحيت نفسها بابتسامة خافتة ، حائرة ، كتلك الابتسامة التى تقدمها لمريض ، كنا نظن أنه لن يشفى ، ولكنه خرج فجأة من المستشفى ، تظهر عليه العافية

كان عليها أن تحتاط فى القيادة ، فالطريق مبتل ، وزلق ، ورصفه سيىء

يجب ألا يتدخل كلب أهوج أو يتدخل حادث مادى بينها وبين أنطوان

ظلت تفكر فى ذلك ، كأنها فقدت ذاكرتها ، وفقدت نفسها حتى وصلت الى المطار

القادمون من باريس يصلون السادسة ، وعلى الرغم من علمها أن انطوان لن يلحق هذا الموعد ، الا انها وقفت على باب الخروج ٠

الطائرة التالية فى الثامنة ، فاشترت رواية بوليسية ، وجلست على البار فى الدور العلوى ، وحاولت عبثا أن تفهم ماذا حدث لبوليس سرى خاص لم يستطع أن يجذبها

كانت تعلم هذا التعبير « السعادة الغامرة » لكنها لم تتحقق من صحته ، ودهشت لانها تحس انها مرهقة ، ممزقة ، حتى تساءلت اذا كانت سيغمى عليها ، أو ستنام على مقعدها قبل أن تجىء الثامنة

ونادت الجرسون ، وقالت انها تنتظر شخصا فى طائرة الثامنة « ولم يهتم الجرسون كثيرا »

لكن – على أى حال – اذا حدث لها شىء ، فان الجرسون يستطيع أن يخطر انطوان

لم تتصور كيف يحدث ذلك ، ولكنها كانت تريد أخذ كل الاحتياطات لحماية هذا الانسان الجديد ، المتوهج ، الرقيق ٠ هذا الانسان السعيد الذى صحبته ٠ وغيرت مكانها لانها لا ترى جيدا الساعة الكبيرة المعلقة فوق البار ، وخيل اليها انها لا تسمع من مكانها مكبرات الصوت

وحين انتهت من رؤية الحروف السوداء التى تضمها صفحات كتابها لم تكن الساعة غير السابعة ، وكانت امرأة تبكى – فى الرواية – وهى تقبل رجل البوليس السرى الجريح ، والراقد فى المستشفى بميامى ، فأحست حينذاك بالالم

ومرت ساعة ، شهران ، ثلاثون عاما ، قبل أن يظهر انطوان فى نهاية الصالة فى مقدمة المسافرين ، لانه لم يكن يحمل متاعا ٠

ولم يكد يخطو بضع خطوات تجاهها ، حتى رأت ببساطة أنه يخيف ، باهت اللون ، مبهدل الثياب ، عرفت ذلك بوعيها المتقد الذى عرفت به ، فى نفس الوقت ، انها تحبه

وجاءها ، فتصافحا باليد ، دون أن ينظر احدهما الى الاخر كثيرا ، وترددا بعض الوقت قبل أن يتجها الى باب الخروج

وقال لها وكأنه يسر شيئا انها قد اسمرت ، وتمنت أن يكون قد قضى رحلة مريحة ٠

ثم ركبا السيارة ٠ وقادها أنطوان ، وهى تريه المفتاح

كان الليل دافئا ، ورائحة البحر تمتزج بالبنزين ، ونخيل المطار يهتز اهتزازا خفيفا • وسارا بضعة كيلو مترات دون ان يقولا شيئا بل ودون أن يتساءلا الى أين يذهبان ، ثم أوقف أنطوان السيارة على حافة الطريق وأمسك بها ••

لم يقبلها ، اكتفى بأن يحتضنها بين ذراعيه ، وخده فوق خدها، وكادت تبكى من الراحة

وقال لها بهدوء وصوت خفيض ، كانه يحدث طفلة :

ـ اين شارل ؟ لابد أن يخبره الان

ـ سنستقل القطار هذه الليلة • يوجد قطار الليل • أليس كذلك؟ سنستقله الى كان

وأومأت موافقة ، ثم ارتدت قليلا حتى تنظر اليه ، ورأت عينيه، وشكل فمه ، ومال يقبلها

كان القطار الى « كان » عربة نوم

وطوال الليل ، كان صفير القطار ، واضاءة النور على وجهيهما المتقاربين ، وحين يتوقفان احيانا فى احدى المحطـــات ، كانت الضجة المعدنية ، المنتظمة ، تشهد على حالة العجلات ، وتشرف على تعرفهما فى باريس ، وتشهد على مصيرهما •

وبدا لهما أن السرعة تضاعف اللذة ، وأن القطار أصبح مجنونا وانهما هما اللذان يزفران أحيانا هذه الانات الملتهبة فى الحقول الهاجعة

قال شارل :

ـ كنت اعرف

وأدار له ظهره ، وهو يسند جبهته على النافذة

كانت تجلس فوق سريره ، وهى تهتز من التعب

يخيل اليها انها ما زالت تسمع هزات القطار

كانت السماء تمطر حين وصلا الى محطة ليـــون ، فاتصلت بشارل ، من عنده ، من عندهما وجلست تنتظره ، وجاءها بسرعة، فقالت له على الفور انها تحب انطوان • وأنه لابد ان تتركه

وتظاهر بانه ينظر من النافذة ، ودهشت لان رقبته مستقيمة ، وانها لا تثيرها ، بينما رقبة أنطوان ، بشعرها الاشقر المتهوش ، تثير فيها كثيرا من الحنان

هناك رجال كثيرون لا يمكن أن تتخيل طفولتهم

قال :

ـ أظن أن هذه القصه لا تؤدى الى شيء

اننى آمل •• وتوقفت بغتة ، ثم توجه اليها :

ـ لابد أن تفهمى اننى أحبك • لا تظنى اننى استطيع الاستغناء عنك ، أو نسيانك ، أو تعويض فقدك • لم أعد فى السن التى تسمح لى بها

وابتسم ابتسامة باهتة

ـ سوف تعودين الى يا لوسيل • اننى احبك من أجل ذاتك • لكن انطوان يحبك من أجلك •• كلك • انه يريد أن يسعد معك • وهذا شيء طبيعى لمثل سنه • اننى أريد أن تصبحى ســـعيدة ، بالاستقلال عنى •• وليس لى الا أن انتظر

وهمت بالاحتجاج ، ولكنه رفع يده بسرعة جدا

ـ واكثر من هذا • لسوف يحاسبك أو لعله يحاسبك الان على ما انت عليه :

ابيقورية متلذذة ، غير عابثة ، بل وجبانة

ولسوف يحاسبك تماما على ما سوف يسميه نقاط ضعفك ، أو عيوبك • انه لا يفهم بعد أن قوة المرأة فى ذلك السبب الذى يدفع الرجال لحبها ، حتى ولو كان ذلك الحب يخفى الخراب •

ولسوف يتعلم ذلك معك

لسوف يعرف انك طروبة ، غريبة ، ولطيفة ، لان فيك كل تلك العيوب • لكن سيكون الوقت متأخرا

على الاقل هذا ما أعتقده

وسوف تعودين الى •• لانك تعلمين اننى أعلم

وضحك ضحكة صغيرة

ـ لقد عودتك على الخطب الطويلة ، اليس كذلك ؟

والان ، قولى له أنه لو أصابك بسوء ، اذا لم يعدك الى خـــلال شهر أو ثلاثة اعوام ، سعيدة كما انت الان ، فاننى ســاحطمك عن رضا ••

كان يتحدث وفى صوته بعض الغضب • وهو ينظر اليهـــا ، والدهشة تبدو عليها ، كانت تبدو عليه قوة ، تقترب من القسوة لم تعهدها فيه من قبل

ـ كنت أحاول ابقاءك • اليس كذلك ؟

ولكن اذكرى هذا جيدا : اننى انتظرك « فى أى وقت »

وأى شيء تريدينه ، فى أى حال ، ستحصلين عليه

هل تذهبين فورا ؟

وهزت رأسها بالايجاب

ـ هل ستأخذين كل ما يتعلق بك « وحين هـــزت رأســـها بالتأكيد : »

يا للخسارة ، لكننى لن استطيع رؤية معاطفك فى الدواليب ، وأضاف بابتسامة صغيرة :

ولا سيارتك فى الخارج

ـ ·· وقد تغيبين طويلا

وظلت تنظر اليه بلا حراك

كانت تعلم أن ما يحدث فظيع · وأن ما يحدث هو بالضـــبط ما تريد

كان كل شيء يحدث كأنها تعرفه منذ وقت طويل ، وامتزج يأسها من أن تجعله يتعذب بشيء من الفخر لانه يحبها

غير معقول · انها لا تستطيع ان تتركه هكذا ، وحيدا فى هذه الشقة الواسعه

قالت :

ـ شارل ، اننى ··

قال :

ـ لا · لقد انتظرت طويلا · عليك أن تذهبى الان.

ووقف لا يتحرك أمامها ، ثانية ، كأنه يحلم ، وهو يطيل النظر اليها · ثم انحنى بسرعة ، ولمس شعرها ، واستدار :

ـ اذهبى الان · سوف اجعلهم ينقلون حقائبك الى شـــارع دى بواتييه ، حالا ولم تندهش لانه كان يعرف عنوان انطوان

وتملكها الرعب من نفسها حتى انها لم تستطع رؤية شيء سوى هذا الظهر المنحنى قليلا ، وذلك الشعر الرمادى ، وخيل اليها انها ترى عمها ··

وهمست قائلة : « شارل » ولم تعد تعرف اذا كانت تـــريد أن تقول « شكرا » ، أو « معذرة » أو شيئا من هذه السماجات ، لانه هز يده ، هزة ضعيفة كسيرة ، دون أن يعيدها ، ايماءة الى انه لم يعد يستطيع الاحتمال · فخرجت بظهرها ··

ولاحظت انها تبكى ، وهى فى السلم ، وانهـــا دخلت المطبخ تنهنه على كتف بولين التى أكدت لها أن الرجال متعبون ، حقا ، ولكنهم لا يستحقون البكاء عليهم

وكان أنطوان ينتظرها فى الخارج ، فى احد المقاهى ، فى الشمس



- ١٧ -

أحست لوسيل انها اصبحت فريسة مرض رائـــع ، غريب ، كانت تعلم أنه السعادة ، ولكنها لا تجرؤ على ان تنطق باسمه .

فلقد ظنت انه من المبالغة ان يصل مخلوقان ذكيان ، متوتران ، متيقظان الى نهاية انفاسهما ، والى الحد الذى يختلطان فيـــه ويمتزجان ، فلا يستطيعان ان يقولا شيئا سوى « احبك » بصوت اقرب الى الانين ، ثم لا يقولان شيئا بعد ذلك

كانا يعلمان انه لا يمكن ان يكون هناك شيء يضاف فعلا ، ولم يكن هناك شيء يمكن ان يصبح أملا بعد ذلك لتستعيد ذكرى هذا الامتلاء

كانت سعيدة .. وكانت خائفة

لقد تحاكيا كل شيء : طفولتهما ، ماضيهما ، وخاصة ، بالذات تلك الشهور التى مضت ، وككل المحبين اخذا يسترجعان كيف تقابلا أول مرة ، ويذكران أدق التفاصيل فى علاقتهما

وكانا يتساءلان بدهشة « حقيقية تكاد تكون غبية » .. بدهشة كلاسيكية ، كيف ظلا يشكان مدة طويلة فى حقيقة عواطفهمـــا .

لكنهما اذا كانا يتجولان فى ماضيهما المشترك ، القلق المضطرب ، فانهما يحلمان بالمستقبل المشترك ، الذى يمكن ان يكون هـادئا ودائما

كانت لوسيل ، اكثر خوفا من انطوان ، من وضع المشروعات ، ومن الحياة البسيطة . وحتى ذلك الحين ، كانا يشهدان حاضرهما وهو يمر ، وينهضان فى الصباح ليريا نفسيهما فى سرير واحـــد لا يشبع أحدهما من الاخر ، فاذا هبط الليل يسيران فى باريس الدافئة الناعمة التى ليس لها مثيل

وفى لحظات كانت تبدو عليهما السعادة الى درجة توحى ان عشقهما قد انتهى

كان يكفى ان يتأخر انطوان ساعة ، بعد ان تكون قد ودعته بهدوء يشبه عدم الاكتراث الذى يصل الى حد انهـــا تشك فى انها ستصبح كما كانت فى سان تروبيز ، ذلك الحيوان ، المريض

الممزق الذى فقد صوته ، لكن سرعان ما تعود اليها الظنون ، فاذا بها ترتجف وهى تتخيـــل جســـد انطوان تحت اوتوبيس ثم تنتهى الى ان السعادة هى وجوده ، لان غيابه هو اليأس .

وكان يكفى ان تبتسم لوسيل بالصدفة لاحد الرجـــال حتى يتغير لون أنطوان ، وحتى تتحطم تلك السعادة الرقيقة المؤقتـــه التى لم يكسبها بعد « على الرغم من ان الامتلاك الجســـدى ، والدائم ــ الذى لا يتعب منه ــ يؤكد عكس ذلك »

كان بينهما شيء جارف ، قلق حتى فى لحظات الهدوء الناعمة .

فاذا تعذبا احيانا فى هذا القلق ، فانهما كانا يعلمان ان اختفاء هذا القلق عند أحدهما انما يعنى انتهاء حبهما

وقد كان جزء كبير من علاقتهما قد تحدد بصدمتين عاطفيتين تكادان تتساويان : بالنسبة لها ، حين تأخر انطوان ، بعد الظهر فى ذلك اليوم الشهير ، وبالنسبة له حين رفضت لوسيل ان تذهب معه الى بيته بعد عودة شارل

وكانت لوسيل التى يكاد التواضع عندها يتساوى مع الانانية كغيرها من الفتيات اللامباليات ، تظن ان انطوان لن يعود لها ذات يوم كما ان انطوان كان يظن ان لوسيل ستخونه ذات ليلة ..

ويعنى هذا أن هذين الجرحين اللذين شفتهما السـعادة ، كأنما أرادا أن يبقيا مفتوحين ، عن قصد ، مثل هذا الذى نجـــا من حادث خطير ، وبعد ستة أشهر من العذاب ، اذا به يعـــود الى موطن الجرح يحكه بأظافره ، ويتحسس مكانه ، ويقارنه ببقية جسمه السليم .

كانا يحتاجان الى جبيرة ما .

كان انطوان يحتاج اليها باحساس عميق ، ولوسيل لانها تظن أن هذه السعادة المشتركة غريبة

وصحا انطوان مبكرا .

وأدرك جسده ، قبل وعيه ، وجود لوســـيل فى السرير ، واشتهاها ، حتى قبل ان يفتح عينيه .

وتزحلق نحوها ، نائما مبتسما ، ولم ينزعه من أحلامه ســوى تقلص قبضة لوسيل فوق ظهره .

كان انطوان ينام بعمق ، واستغراق ، كما ينام بعض الرجال ، وكل الاطفال ولم يكن يحب اكثر من صحوه البطىء المتلذذ .

أما لوسيل ، فكان اول خوف تخشاه فى الصباح هو الخوف من اللذة ، فكانت تسترد وعيها ، وهى مندهشة ، تكاد تكون

غضبي من هذا الشيء الذى يقترب من التهتك الذى يحرمهـــا من كل عاداتها فى صحو الصباح

تعودها على ان تفتح عينيها ، ثم تقفلهما ، ترفض الصباح أو تقبله ، وغير هذا من الصراع الصغير الغامض الرقيق الذى تقوم به

وكانت أحيانا تحاول ان تغش ، فكانت تصحو قبله

لكن انطوان لم يكن ينام اكثر من ست ساعات ، وكان يسبقها فى الصحو دائما ؛ كان يضحك من غضبها ، متمتعـــا بأنه انتزع بسرعة هذه المرأة من ظلمات النوم ، ليغرقها فى ظلمات الحب

كان يحب تلك اللحظات بالذات التى تكاد تفتح فيها عينيها ، تائهة مبلبلة ، فاذا تعرفت عليه ، أغلقت عينيها ، كأنها مضطرة ، ثم تعقد ذراعيها حول عنقه .

كانت حقائب لوسيل موضوعة فوق الدولاب ، ولا يوجـــد داخله سوى فستانين أو ثلاثة فساتين من التى يفضلها انطـوان ، معلقة كتفا لكتف مع بذلتيه

وكان الحمام يشهد على وجود امرأة من كثرة الزجاجـات الصغيرة ، التى وضعتها لوسيل ولا تستخدمها عادة

وكان انطوان وهو يحلق ، يحكى لها عشرات التعليقـات على طريقة وضع العشب على الوجه لازالة الغضون ، وكانت لوســيل تقول له انه سيسعد بعد مدة بأن يستخدم هذه الاعشاب ، وانه سوف يتغضن فجأة ولانه على أى حال قبيح الشكل

وكان يقبلها . فكانت تضحك . وكانت باريس رائعة الجمـال هذا الصيف بالذات

وكان ينزل الى عمله فى التاسعة والنصف ، فتبقى فى الغرفة هادئة ، تتنهد بعد ان ترشف فنجانا من الشاى ، وهى لاتستطيع النزول الى المقهى القائم على ناصية الشارع

كانت تتناول واحدا من مئات الكتب الملقاة فى اكوام ، فى كل ركن من اركان الغرفة لتقرأ .. وكانت الساعة الكبيرة التى كثيرا ما عذبتها فيما مضى حين تدق كل نصف ساعة قد اصبحت دقاتها رائعة فى اذنيها

وكانت أحيانا وهى تسمع الدقات ، تضع كتابهـــا جانبـــا . وتبتسم فى الفضاء كأنها تبتسم لطفولتها التى تسترجعها

وفى الحادية عشرة ، او الحادية عشرة والنصف ، كان انطوان يدق التليفون ويتكلم بصوت غير مكترث غالبا ، واحيانا بصوت سريع وحاسم لرجل غارق فى العمل

وكانت توسيل حينذاك تجيبه بجدية ، واحيانا تنتابها ضحكة مجنونة داخلية ، لانها تعرف انه حالم ، وكسول ، ولكنها كانت فى هـــذه المرحلة من الحب التى تحب فيها بحنان معـــارفاته وحقيقته ؛ بل وتحب ، على العكس أكاذيبه الصغيرة ، لانهـــا تتصور ان هذه الاكاذيب ليست سوى دليل على الثقة الكاملة

وكانت تلقاه فى الظهر ،فى حمام السباحه ،فى ميدان الكونكورد، ليتناولا ساندويتشات فى الشمس . ثم يعود الى العمل ما لم تثر فيها الشمس ، وتلامس جلديهما العاريين الملفوحين من حـــرارة الشمس ، فلا يعرقلهما الحوار على ان يأخذها الى بيته .. الى بيتها مهرولين ، ليعود الى مكتبه متأخرا

ثم تبدأ لوسيل نزهتها الطويلة فى باريس على قدميها ، لتلتقى بعض أصدقائها أو معارفها البعيدين ، وتتناول عصير الطماطم عن أرصفة المقاهى

وكان الجميع يحدثونها لان السعادة تتألق فى وجهها

وفى امسيات الصيف كانت هناك كل السينمات ، والشوارع الدافئة حول باريس ؛ والكاباريهات شبه المهجورة ، حيث علمته الرقص وكل الوجوه الهادئة المجهولة ، وكل الكلمات التى تتمنى ان تقولها ، وكل ما تذهب بها الرغبة فى ان تصنعه

وفى نهاية يوليو ، قابلت جونى صدفة ، فى مقهى الفلور . كان عائدا من عطلة الاسبوع فى مونت كارلو مرهقا ، يصحبه شـــاب ملفلف الشعر يدعى برونو

وهنأهما جونى بما يبده عليهما من سعادة ، وسألهما لمـاذا لا يتزوجان وضحكا كثيرا للفكرة ؛ وقالا انهما لا يهتمـــان كثيرا بالمستقبل ، وان الزواج على أى حال فكرة سخيفة

وتضاحك معهما جونى موافقا

وحين ابتعدا ، همس قائلا « خسارة » فاندهش المدعو برونو وحين سأله عن السبب ، علت وجه جونى ملامح خرقاء ، لم يعهدها الفتى ، وقال جونى : « لن تفهم ، ولكن فات الأوان » ؛ ورضى الفتى منه الاجابة لانه لم يكن فى الحقيقة يفهم أى شيء

وجاء أغسطس ، شهر الاجازات

لم يكن انطوان يملك مالا ، فبقيا معا فى البيت

واسندت الحرارة فجاة فى باريس ، فأصبح الجو خانقـــا ، ناسفا . تتخلله موجات من المطر العنيف القصير ، كانت تترك شوارع باريس منهوكة ، طازجة مثل النساء اللواتى يمضين فترة النقاهة . او الشابات اللائى يلدن

وامضت لوسيل ثلاثة اسابيع فوق سريرها بالروب دى‌شامبر كانت ثيابها تتكون من المايوه ، والبنطلونات ، المخصصة لايام مونت كارلو الجميلة ، أو أيام كابرى التى يتعهد بها بلاســـان لينيير ، ولم تستطع لوسيل تغيير ملابسها

واخذت تنكب على القراءة وتفرط فى التدخين ، وتنزل لشراء الطماطم للغداء ، وتحب « انطوان » وتحدثه فى الادب ، وتنام

وكانت العواصف التى تخافهـا تلقى بها اليه ، فكان يرفق بها ..

وكان يفسر لها علميا العواصف بأنها تجمعات من الضباب ، لكنها لم تكن تصدق تماما ، فكان يسميها « كافرتى » وهو يحدثها بصوت متهدج . وكان يتوقف عن ازعاجها ، حتى ينتهى الرعد تماما

وكان احيانا يلقى عليها نظرة متسائلة تائهة

كان كسلها ، وقدرتها الهائلة على الا تعمل شيئا ، والا تتنبأ بشيء ، وقدرتها على السعادة — وان تعيش اياما طويلة خاوية ، بلا حركة ، متشابهة — كان كل ذلك يبدو له أحيانا شيئا متطرفا بل يكاد يكون مرعبا

كان يعلم تماما انها تحبه ، وانها لذلك لا تحس بالملل معه

وانه لا يحس بالملل معها ، ولكنه كان يعلم أن مثل هذه الحياة هى التى تتلاءم مع طبيعتها العميقة ، وانها تسند هذا الفـــراغ الدائم الى عاطفة مشبوبة .

كان يخيل اليه انه وقع على حيوان غير مفهوم ، او نبات غير معروف ، او مثل « رعرع ايوب » ..!

وكان يقترب منها ويندس تحت‌الفطاء ، ولا يترك شيئا من لذتها ، وفى عرقهما الممتزج ، ومن تعبهما ، حتى يتأكد بهذه الطريقة وحدها ، ويتأكد جدا من انها امرأة

وأخذا يتعرفان شيئا فشيئا على جسديهما تعرفا دقيقا ، بل ووصلا الى ما يشبه العلم ، علم لا يستمر نجاحه ، لانهما يهتمان أول الامر بامتاع الاخر ، ثم يختفى هذا العلم ، ويفشل امـــام لذة كل منهما ..

لذته الخاصة ..

وفى هذه اللحظات ، كانا لا يتخيلان أنه كان لا يمكن الا يتقابلا طوال السنوات الثلاثين .

فلا ينقضى يوم ، الا اذا اعترفا لنفسيهما ، ولعدة مرات ، ان كل ما عدا ذلك ليس حقيقيا . ولم تعد لشىء قيمة سوى اللحظات التى يعيشانها على هذا النحو

وانقضى شهر أغسطس كالحلم ..

وفى ليلة أول سبتمبر — قرابة منتصف الليل ، كانا يتمددان جنبا لجنب ومنبه أنطوان الذى ظل معطلا طوال شـــهر كامل ، يستعيد دقاته النشيطة

ودق المنبه . الثامنة

كان أنطوان ينام على ظهره ، بلا حراك ، ويده التى تمســـك سيجارة تطل خارج السرير

وكان المطر يهطل فى الشارع ، حبات بطيئة لينة ، وخيل الى انطوان ان المطر أصبح مالحا دافئا كدموع لوسيل التى اخذت تنزل على وجنتيها ، فى هدوء ، وعيناها مفتوحتان



الجزء الثالث

الخريف



- ١٨ -

وانتظرت لوسيل الاتوبيس فى ميدان ألما ، وزاد اضطرابها .
فشهر نوفمبر خاصة شديد البرودة ، كثير المطر، والمظلة الصغيرة أمام المحطة ، مزدحمة بأشخاص كثيرين ، يكادون يكونون عدوانيين
ولذلك فضلت الوقوف بعيدا ، وشعرها المبتل يلتصق بوجهها.
ونسيت أن تحجز تذكرة من تذاكر الانتظار فى الصف ، فاصطدمت بامرأة تزاحم بخبث ، وبعد بضع دقائق تذكرت أنها لم تحجز التذكرة

وفى هذه اللحظة ، ندمت على سيارتها ، وصوت المطر الذى كان يتساقط على السقف ، والرحلات التى لم يكن لها هدف سوى السير على الطريق المبتل

ان متعة المال هى أنها تجنبك مثل هذا الانتظار ، والنرفزة ، والآخرين

كانت قد جاءت من المكتبة السينمائية فى الباليه دى شايو ، لأن انطوان نصحها ــ بلهجة شبه آمرة ــ أن تذهب لرؤية احدى روائع المخرج بابست

كان الفيلم فى الحق من الروائع

لكنها اضطرت أن تقف فى الصف نصف ساعة وسط حشد من الطلبة الصاخبين ، وساءلت نفسها لماذا لم تبق فى الغرفة تكمل قراءة رواية لسيمنون كانت تعشقها

وكانت الساعة قد تعدت السادسة والنصف ، وسوف تصل بعد وصول انطوان . وتمنت لو أن هذا شفى انطوان من الجنون الشنيع الذى يتملكه لكى يدفع لوسيل للخروج من ذاتها ومن الاتصال بالحياة الخارجية !

كان يقول لها أن من غير الطبيعى ، وغير الصحى أن تعيش ثلاث سنوات من الحياة الاجتماعية النشيطة وما سماه العلاقات الانسانية ، ثم تبقى بعد ذلك هكذا محنطة لا تفعل شيئا على الاطلاق

ولم تستطع مصارحته بأن المدينة ، حتى ولو كانت هذه المدينة

باريس ، تصبح مرعبة بتذاكر الاوتوبيس ، ومائتى فرنك فى الجيب ، اذا تعود الانسان على الحياة بطريقة مختلفة

لو قالت له ذلك ، لأحرجته ، كما تحس هى أيضا بالحرج

انها تذكر انها عاشت نفس الحياة حين كانت فى العشرين ، ولا تحب مجرد الفكرة فى ألا تحاول من جديد وهى فى الثلاثين

وتوقف الاوتوبيس ، ونودى على الارقام الاولى ، وعاد التعساء أصحاب الارقام التالية الى كشكهم الزجاجى

واجتاحها نوع من أنواع اليأس الحيوانى

وبعد نصف ساعة ، وشىء من الحظ ، سوف تستطيع أن تصعد الى الاوتوبيس ، ليحملها على بعد ثلاثمائة متر من غرفة انطوان . وسوف تسير تحت المطر ، وتصل متعبة ، قبيحة ، مضطربة الشعر ، الى رجل متعب مثلها

ولو انه سألها عن رأيها فى بابست لفضلت أن تحدثه عن الزحام، والاوتوبيس ، والنظام الجهنمى الذى يفرضونه على الذين يعملون ولو فعلت ذلك لأصابه اليأس

ومر أوتوبيس ، دون أن يتوقف

وقررت فجأة أن تذهب على قدميها

واقتربت منها سيدة عجوز ، لتمد يدها الى ماكينة تذاكر الانتظار

وقدمت لها لوسيل تذكرتها

خذيها ، خذى تذكرتى . سأمشى على قدمى

وحدجتها السيدة بنظرة متسائلة ــ كادت تنقلب عدوانية

ولعلها ظنت أن لوسيل تفعل ذلك من قبيل الاحسان ، بسبب سنها أو الله أعلم ماذا

ان الناس أصبحوا قليلى الثقة هذه الايام

انهم يمضغون الملل والمتاعب ، والتليفزيون الغبى ، والجرائد المجنونة ، حتى أنهم لم يعودوا يحسون بأى احساس بالتبرع

وكادت لوسيل تعتذر :

ــ اننى أسكن على بعد خطوات ، ثم اننى تأخرت عن موعدى . وقد خف المطر ، أليس كذلك ؟

ونطقت « أليس كذلك » كأنها تناشد المرأة ، وهى ترفع نحو السماء نظرة مصحوبة بنية سيئة ، لان المطر كان يشتد

وخطر لها فى نفس الوقت : « ولكن ماذا تنفعنى موافقة هذه المرأة ، اذا لم تكن تريد التذكرة ، فلتلقها على الارض . اننى

لا أكترث ، لو انتظرت نصف ساعة أخرى »

واحست باضطراب شديد :

ـ ماذا اصابنى ؟ كان لا بد أن افعل كما يفعل بقية الناس أن ألقى بالتذكرة على الارض . ما هذا الجنون الذى اصابنى فى ان أحب أن أكون محبوبة ، وان انشىء علاقات عاطفية فى ميدان ألما فى السادسة والنصف مساء ، أمام اوتوبيس ، وأن أرغب فى أن يحبنى الناس جميعا . ان العلاقات العاطفيـــة ، وفورات العواطف بين من لا يعرفون بعضهم تحدث بين كأسين من الويسكى ، او بين الناس المرتاحين ، او فى بار خافت الضوء ، أو أثناء احدى الثورات

ومع ذلك ، تعشمت لوسيل فى يأس أن تكون مخطئة

ومدت المرأة يدها ، وأمسكت التذكرة :

ـ انك جد لطيفة . شكرا

وابتسمت

فأرسلت لها لوسيل ابتسامة غير واثقة

وابتعدت

وتابعت السير على الارصفة ، حتى ميدان « الكونكورد » ، ثم عبرت الى شارع ليل

وتذكرت فجأة انها سارت على قدميها ، فى نفس الطريق ، ليلة تعرفها على انطوان

ولكن ذلك كان فى بداية الربيع ـ وكان هذا الشاب مجهولا ، وقد مشيا معا وسط الليل الدافىء ، يحتقران التاكسيات لاسباب اخرى غير الاسباب التى تدفعهما الان

وخطر لها أن تتوقف عن هذا اللوم

ماذا يفعلان الليلة ؟

عليهما ان يتعشيا عند لوكاس مولدر ، أحد أصدقاء انطوان

انه صحفى ثرثار مضطرب الاعصاب مغرم بالتجديدات

وهو يسلى انطوان ، وكان يمكن أن يسليها أيضا لولا أن زوجته مغرمة بأن تحدث لوسيل فى أشياء متعددة تنتهى ختـــاما الى أمراض النساء . وأكثر من هذا ، فان نيكول « الزوجة » مغرمة بالتدبير ، فكانت تطبخ الوانا اقتصادية عسيرة على الهضم

وقالت لوسيل وهى تسير :

« انى افضل لو ذهبت لتناول العشاء فى « محطـة بلازا » لأتناول مع البارمان هامبورجرو وسلاطه وشيئا مثلجا ، بدلا من

الشوربة السميكة والراجو الفظيع ، والجبنة الجافة ، وثلاث حبات من الفاكهة تنتظرنى . أظن ان الاغنيـــاء فقط هم الذين يستطيعون الأكل ... »

وانتقلت قليلا عن هذه الصورة ، وتخيلت بار « بلازا » ، نصف الممتلىء ، فى البار ، ورؤساء الخدم منهمكون وهى جالسة وحدها ، تقرأ جريدة فى غير اهتمام ، وتشاهد الامريكيات لابسات فراء « الفيزون » . ولاحظت ، وهى تحس بوخزة صغيرة فى القلب أن هذا الحلم لم يكن فيه انطوان ، وانها تخيلت نفسها بدونه . لقد انقضى وقت طويل لم تتناول وجبتها وحيدة ، ولكنها أحست بالذنب ، وجرت فى شارع ليل . وصعدت مسرعة على السلم

كان انطوان ممددا على السرير مع « الموند » ـ ويبدو انهــا اصبحت من نصيب رجال يقرأون « الموند » ـ فوقف ، وارتمت بين ذراعيه

احست بدفء ، وشمت رائحة تبغه ، كان ضخما ، وهو يتمدد على السرير ، ولم تتعب من جسده النحيل ، وعينيه الفاتحتين ، ويديه القويتين ، وهما تمشطان شعرها المبتل

وغمغم بشىء عن جنون النساء اللاتى يتهن تحت المطر

وقال :

ـ والفيلم ؟

ـ فقالت :

ـ كان رائعا

ـ اعترفى اذن ، اننى كنت محقا لأرسلك

وقالت :

ـ أعترف

كانت تقف فى الحمام ، وهى تعترف ، وتمسك فى يدها اليمنى بفوطة ورات فى المرآة ابتسامة غريبة صغيرة . وتوقفت لحظة ، ثم مرت برفق على المرآة بالفوطة ، كأنها تريد أن تمحو شريكا تريد أن يصبح معها شريكا متآمرا

ـ ١٩ ـ

انتظرت أنطوان فى البار الصغير الذى يقع فى شارع ليل ، حيث اعتادت أن تلتقى به فى السادسة والنصف من كل مساء

واخذت تثرثر مع الجارسون ، واسمه ايتيين ، وكان شابا جميلا ، وثرثارا حتى أن انطوان أخذ يشك فى أنه يضمر عاطفة ما تجاهها . وكان ايتيين يتطوع باعطاء لوسيل النصائح الخاصة بسباق الخيل ، وكانت النتيجة دائما مفجعة ، حتى أن انطوان القى بنظرة شك ، حين وصل .. ليس شك الغيرة ، ولكن شك الخوف من كارثة مالية جديدة

وكانت لوسيل ذلك اليوم مشرقة النفس

وناما متأخرين ، وظلا طوال الليل يرسمان المشاريع المعقدة والمنتصرة ، لم تعد تتذكرها فيما بعد ، ولكنها مشاريع خيالية وصلت بها الى شاطىء افريقى ، ولبيت ريفى نموذجى بالقرب من باريس ..

وكان ايتيين يحدثها بعين تلمع بالامل ، عن حصـــــان اسمه « امبرواز الثانى » . فوزه مضمون فى سباق سان كلو . وكان يمكن أن تنتهى الورقة ذات الفرنكات الالف التى تحتفظ بها لوسيل فى جيبها لتصبح من كبار الملاك ، لولا وصول انطوان

عانق أنطوان لوسيل ، وجلس ليطلب كأسين من الويسكى ، وكان هذا وحده علامة على الاحتفال لان اليوم كان ٢٦ من الشهر

وقالت لوسيل :

ـ ماذا حدث ؟

ـ لقد حدثت سيريه . (ولم تفهم لوسيل ، فقال لها ، انه مدير الجريدة) .. ويوجد مكان لك فى الارشيف

ـ فى الأرشيف ؟!

ـ نعم

ـ ان العمل مسل جدا ، وليس مرهقا ، وستحصلين على مائة ألف فرنك فى البداية

وحدجته لوسيل بنظراتها . فقد تذكرت تماما ما تحدثا عنه

فى الليلة الماضية . لقد اتفقا على أن حياة لوسيل ليست لائقة ، وان ما يهما ان يعملا شيئا . ولذلك استقبلت فكرة هذا العمل بانقباض . لأنها كانت قد تخيلت ـ أدبيا ـ صورة أخرى ، تخيلت نفسها تصعد السلم الى اعلى ، وتصبح صحفية لامعة تتحدث عنها باريس

طبيعى . انها ستتحمل فى سبيل ذلك كثيرا من المتاعب وستبذل جهدا منسيا . ولكنها كانت تحس ان فى داخل نفسها كثيرا من العناد . والطموح ، والروح الفكهة التى تؤهلها للوصول

وتخيلت انهما سيمتلكان شقة أنيقة . تشتريها لها الجريدة ، لأنها ستضطر الى استقبال كثير من الضيوف ، وانهما سيهربان من هذه الحياة . شهرا على الأقل . كل سنة على سفينة تجوب البحر الابيض

وقد استمرت لوسيل فى مشروعها الحماسى تحاول اقنـــاع انطوان ، الذى كان يتشكك فى البداية ، ثم اخذ يهتم ، لأن لوسيل قادرة على اقناع اى شخص حين تتحدث عن مشاريعها ، وخاصة مشاريعها الجنونية ، وبالذات اذا كانت تتناقض مع طبيعتها ، كهذا المشروع الاخير . ولكن ماذا قرات ، وماذا شربت ، حتى خرجت بهذا المشروع ؟

والان ، لم تعد تحس بالعناد ، ولا الطموح ، ولا الرغبة فى اى شىء .. سوى ان تقتل نفسها

وقال انطوان :

ـ بالنسبة لهذا النوع من الجرائد ، فالمرتب حسن جدا

وكان يحس بالانبساط من نفسه

ونظرت اليه برقة . كان لا يزال تحت تأثير خطبها ، ولا شك أنه طوال النهار ، أخذ يقلب الدنيا والارض والسماء

فمن الصعب الحصول على مثل هذه الوظيفة فى باريس ، لأن هذا النوع من النساء كثير ، انهن يحسسن فجأة بالانهيـــــار العصبى بسبب الفراغ ، ويرغبن فى أن يدفعن بعض المال ، لينظفن الباركيه ، على شرط أن يكون الباركيه فى احدى دور النشر ، أو بيوت الأزياء ، أو فى جريدة من الجرائد

وهذا هو سيريه مستعد ليدفع لها مرتبا ، وهى التى تحب الفراغ . « كم أن الحياة غبية »

وحاولت أن تبتسم لانطوان

وقال :

– لا تبدو عليك السعادة
وقالت وهى قانطة :
– يبدو أن كل شيء جميل
فنظر اليها نظرة المتسلى

فقد كان يعلم انها بدأت تأسف لقراراتها المقبضة ، وانها لا تجرؤ على أن تعترف له بذلك

ولكنه كان يحس حقا بأنها لا تستطيع الحياة بهذه الطريقة دون أن تحس بالملل . وقد ظن أن هذه الفرنكات المائة ألف ، اذا أضيفت الى مرتبه ، ستوفر للوسيل حياة أكثر يسرا

وبتفاؤل الرجال ، اخذ انطوان يتخيل ان لوسيل سوف تشترى ، وهى فى غاية السرور ، فساتين صغيرة كل شهر ، وطبيعى انها لن تكون ممهورة بتوقيع أحد كبار الخياطين ، ولكنها ستليق عليها تماما ، لأن جسمها معتدل القوام . وسوف تركب التاكسيات ، وستقابل الناس . وستهتم قليلا بالسياسة وبالعالم عموما .. وفى النهاية ، سوف تهتم بالاخرين

ولا شك انه يأسف ، لانه لن يعود الى بيته ، كما يعود الحيوان الى مخبئه ، فيجد امرأة لا تحيا الا على القراءة والحب ، ولكنه على اى حال كان يحس احساسا غامضا بالطمأنينة

لأن فى هذه الحياة الثابتة ، ازدراء للمستقبل ، وتقديسا للحاضر كان يخيفه ، ويغضبه ، كأن هذه الحياة مجرد ديكور فى ستديو سينمائى – سينتهى الامر باحراقه عند ختام التصوير

وقالت لوسيل :
– ومتى ابدأ ؟
وابتسمت ابتسامة حقيقية
انها تستطيع أن تبدأ المحاولة

ولقد حدث لها أن عملت فى صدر شبابها ، ولا شك انها ستحس بالملل ، ولكنها قررت أن تخفى ذلك عن انطوان

– فى أول ديسمبر . خلال خمسة أو ستة أيام . هل أنت راضية ؟
لقد شجعت فى نفسه بعض نواحى السادية
ولكن كان يبدو عليه مظهر البراءة والاقتناع
فهزت رأسها بصراحة :

– راضية جدا . انك على حق . لا يمكن الاستمرار على مثل هذه الحال

ومال عليها ، وقبلها ، عبر المائدة ، مندفعا ، رقيقا ، قبلة تؤكد لها انه يفهمها

وابتسمت ، وخده الى جانبها ، وضحكا عليها ، معا

وأحست بالارتياح لأنه استطاع أن يخمن ما فى داخلها ، لانها كانت تكره أن يخطىء فى شأنها ، وان كانت قد احتفظت ببعض الحقيقة الغامضة ، لأنه رتب الامور على هذه الطريقة

وفى المساء ، أخذ أنطوان – فى بيتها – والقلم فى يده ، يحسب الوانا من الحسابات المتفائلة . بدأ بالطبع ، بالايجار ، والتليفون وبالمسائل المتعبة . ولوسيل – بالفرنكات المائة ألف – ستشترى فساتينها ، وتدفع أجور انتقالاتها ، وثمن وجبات الغداء ويوجد كانتين رائع فى جريدته – وتستطيع الغداء منه

وبقيت لوسيل فوق سريرها ، تسمع هذه الارقام ، وهى مذهولة . كادت تقول ان الفستان من عند ديور يكلف ثلاثمائة الف فرنك ، وانها تكره المترو – حتى ولو كان طوالى – وان مجرد ذكر كلمة كانتين تطلق رجليها للفرار

انها تحس بأنها متحذلقة ، تحذلقا نهائيا ، ومتطرفا

ولكنه حين انتهى من السير الى الامام والخلف ، واستدار اليها ، يبتسم دون قرار ، وكأنه لا يصدق نفسه ، لم تستطع سوى أن تبتسم بدورها

كان كالطفل ، وهو يرتب « حسابات البقالين » كما يفعل الاطفال ، ويضع الميزانية كما يفعل الوزراء ، كان يحب اللعب بالارقام ، والارقام لعبة الرجال

ولكن ماذا يهم لو اقتصرت حياتها على معادلات خيالية ، طالما انه هو الذى يضع لها تلك المعادلات



— ٢٠ —

كان يبدو عليها كأنها أقامت فى مكتب الجريدة منذ أعوام طويلة ، مع انها لم تدخله الا منذ خمسة عشر يوما

وكانت الغرفة فسيحة ، رمادية ، مزدحمة بالمكاتب . والدواليب والادراج . ونافذتها الوحيدة تطل على شارع صغير من شوارع المال (حى سوق الخضار)

وكانت لوسيل تعمل مع سيدة شابة ، تدعى ماريان . حبلى فى شهرها الثالث . لطيفة المعشر تتقن عملها ، تتكلم بنفس العناية الرقيقة عن مستقبل الجريدة ، أو مستقبل طفلها القادم

ولما كانت ماريان مؤمنة بأن هذا القادم سيكون ذكرا ، فكان يحدث أن تسمعها لوسيل ، وهى تتمتم باحدى جملها :

— « انه يتحدث عن نفسه »

أو

« ان مستقبله عظيم »

وكانت لوسيل لا تدرى اذا كانت ماريان تتحدث هذه المرة عن مولودها « جيروم » أو عن العمل

كانا يقصان معا قصاصات الجرائد ، ويبحثان عن الطلبات فى أرشيف الهند ، أو البنسلين ، أو جارى كوبر ، ثم يعيدان النظام الى هذه الدوسيهات حين تعاد اليهما ، وقد أصابها الاضطراب

لكن ما كان يقلق لوسيل ، هو هذا الجو الجاد ، الذى يسيطر على تلك المؤسسة ، وهذا الحس الملعون بالفعالية ، واللذان كانا يصدمان أذنيها

وبعد ثمانية أيام من وصولها ، حضرت اجتماعا عاما للمحررين كان مزدحما بالنحل الذى يطن بأفكار مكررة — وقد دعى الى الاجتماع من باب المغالطة ذلك النحل العامل فى الارشيف والبدروم

وخلال ساعتين ، اشتركت لوسيل ، مذهولة ، فى كوميديا انسانية حامية ، يحركها الاحساس بالامتلاء ، والخطورة ، والسطحية ، والاهتمام العام بضرورة زيادة التوزيع

ولم يقترف ثلاثة رجال فقط شيئا من هذه الحماقات ، الاول

لأنه كان لا يتوقف عن الغضب ، والثانى لانه كان المدير ، والثالث لأن بعض مخايل الذكاء كانت تبدو عليه

وقصت لوسيل على انطوان قصة الاجتماع بما يشبه الملحمة ، وضحك كثيرا . ولكنه قال لها انها تبالغ ، وانها ترى كل شىء أسود اللون . لكنها كانت تحس بالملل الشديد ، ولم تستطع أن تكمل السندوتش الذى حاولت فى الظهر أن تأكله فى الكانتين (للمرة الاولى والاخيرة) . فذهبت الى مقهى قريب ، تقرأ احدى الروايات

وفى السادسة والنصف ، وأحيانا الثامنة (عزيزتى لوسيل اننى آسفة لتأخرك فى العمل ، ولكنك تعلمين أننا بعد غد سنقفل) ، وكانت بعد ذلك تبحث بلا جدوى عن تاكسى ثم تنتهى ، مقهورة ، الى ركوب المترو ، وتقف فى أغلب الاحيان ، لانها لا تريد القتال على مقعد للجلوس

وكانت تنظر الى الوجوه المجهدة ، القلقة ، المتعبة لزملائها فى المركبة ، فتحس أن ثورة تضطرم فى أعماقها ، من أجلهم ، أكثر من ثورتها لنفسها ، لأنها كانت تتخيل أن هذا ليس سوى كابوس ، وانها سوف تتيقظ منه

وكان أنطوان ، ينتظرها فى بيتها ، ويحتضنها بين ذراعيه ، فتعثر أخيرا على الاحساس بالوجود

وفى ذلك اليوم ، أحست أنها لم تعد تحتمل المزيد . فى الساعة الواحدة ذهبت الى المقهى ، وطلبت — لدهشة الجرسون — كوكتيلا (لانها لم تكن تشرب)

ولدهشة الجرسون أكثر ، طلبت كأسا ثانية

كان عليها أن تدرس أحد الدوسيهات ، فأخذت تقلب فى داخله ثم تثاءبت بعد دقيقتين . فقد قيل لها أنها تستطيع أن تكتب تحته ثلاثة سطور ، واذا حازت هذه السطور الرضا فانها قد تنشر

ولكنها أحست انها لا تستطيع شيئا فى ذلك اليوم

ولم يعد ممكنا — فوق ذلك — أن تعود الى ذلك المكتب الرمادى على الفور وأن تستأنف تمثيل دورها الصغير : دور الفتاة النشيطة أمام أناس يمثلون أدوار المفكرين أو الحركيين

كانت الادوار مملة بائخة ، أو على الاقل ، كانت المسرحية غير مناسبة

ولو أن أنطوان كان محقا ، فيما يدعيه من أن هذه المسرحية

التى تمثلها مسرحية لائقة ، فهى على الأقل قد كتبت لآخرين غيرها

ان انطوان مخطىء ، وقد أدركت خطأه على ضوء الكأسين . فالخمر تملك أحيانا مصابيح كاشفة لا ترحم ، وحاسمة ، وقد كشفت لها هذه المصابيح — الان — آلاف الأكاذيب الصغيرة التى تكذبها على نفسها كل يوم ، لتقنع نفسها بأنها سعيدة

انها تعسة

وهذا ظلم

وغمرتها موجة قوية من الاشفاق على نفسها

وطلبت كأسا ثالثة

وهمس الجرسون بلطف فى أذنها يسألها « اذا ما كان هناك شىء لا يسير على ما يرام »

وردت متجهمة :

— كل شىء

وقال لها أن بعض الايام تكون كذلك . ومن الافضل أن تطلب « ساندويتشها » لانها قد تصاب فى صدرها كما حدث لابن عمه ، الذى يعيش فوق الجبل للاستشفاء منذ ستة أشهر

ولاحظ الجرسون انها لم تأكل شيئا ، وبدأ يهتم بها ، وهى التى كانت تقول له بالكاد صباح الخير أو مساء الخير

وهكذا ، فان واحدا على الأقل يحبها

وأحست بالدموع فجأة فى مآقيها

فالخمر تهيج العاطفة ، كما تنير البصيرة

وطلبت « ساندويتشا » ، وفتحت — بتعقل — الكتاب الذى أقرضه لها أنطوان فى الصباح

كانت رواية « النخيل المتوحش» لفوكنر ، وقادها حظها بسرعة الى هذا المونولوج الذى يقوله هارى لنفسه :

« ... الاحترام انه المسئول عن كل شىء . لقد فهمت ، منذ بعض الوقت ، ان الدعة هى التى تشمل كل فضائلنا وكل صفاتنا .. فالتفكير الهادىء والمساواة فى المزاج والكسل ، واتاحة الهدوء للآخرين والهضم الجيد عقليا وجسمانيا : ان الحكمة فى أن يركز المرء اهتمامه على لذائذ الجسد كالأكل ، والشرب ، وحمامات الشمس . وليس أكثر من ذلك . لا شىء يفضل فى العالم أن نعيش الوقت القصير الذى نمنحه . أن نتنفس وأن نعيش ، وأن نعرف أننا نعيش

وتوقفت لوسيل عن القراءة، وأقفلت كتابها ، ودفعت الحساب للجرسون ، ثم خرجت

ذهبت مباشرة الى الجريدة ، وقالت لسيريه انها لا تستطيع مواصلة العمل ، وطلبت منه ألا يخبر أنطوان بقرارها ، ولم تقدم له تفسيرا لكل ذلك

وأحست انها تقف مستقيمة القوام ، وانها تبتسم أمامه ، وهو ينظر اليها مذهولا

وغادرت الجريدة من جديد ، ونادت تاكسيا ، وذهبت الى جواهرجى فى ميدان « فندوم » ، وباعت العقد الذى أهداه اليها شارل بمناسبة رأس السنة ، بنصف ثمنه

وطلبت من الجواهرجى صورة مقلدة من العقد وأبت أن تشارك البائعة ابتسامتها « المتآمرة » ، وخرجت وهى تحس بالحرية

وامضت نصف ساعة فى متحف « جى دى يوم » — وهى تشاهد لوحات التأثيريين ، وامضت ساعتين فى السينما ، وحين عادت أعلنت لأنطوان انها بدأت تتعود على العمل فى الجريدة !

واصبحت بهذه الطريقة ، لا تحس — لبعض الوقت — بأى قلق

انها تحس بالأمان

انها على أى حال تفضل أن تكذب عليه ، بدلا من أن تكذب على نفسها

وأمضت لوسيل خمسة عشر يوما رائعة

فقد منحتها باريس نفسها .. بين الكسل ، ومع المال اللازم لاستغلال هذا الكسل

عاشت الحياة التى عاشتها دائما . ولكنها عاشتها هذه المرة خلسة . وطبيعى أن « هذا الهرب من المدرسة » ضاعف من لذائذها الصغيرة

واكتشفت فى الدور الاول لاحد مطاعم الضفة اليسرى لنهر السين بارا ومكتبة « فى نفس الوقت » . فأخذت تمضى اليه بعد الظهيرة : تقرأ ، أو تحادث شخصيات غريبة ، مضطربة ، فى أغلب الوقت ، مخمورة ، كانت تلاحقها

احدى هذه الشخصيات ، عجوز نبيل ، يزعم انه أمير ، دعاها الى مطعم « الريتز » ، فأمضت ساعة كاملة فى الصباح تعتنى

بملبسها . وهى تبحث أى « التايرات » التى أهداها لها شارل يناسب آخر صيحة فى الموضة . وأمضت غداء « غير عادى » و « رائعا » ، أمام رجل يكذب عليها أكاذيب متجهمة ، وهو يحكى لها قصة حياة مستوحاة من تولستوى ومالرو ، فأخذت تبادله الكذب ، من باب اللياقة ، وحكت له قصة حياة مستوحاة من سكوت فتزجيرالد

وهكذا .. هو أمير روسى ومؤرخ . وهى وريثة أمريكية (أكثر ثقافة من المعتاد)

وكانا — هما الاثنان — محبوسين ، يحيطهما الناس بالحب ، يطير رؤساء الخدم من حول مائدتهما ، وكأنهما خرجا لتوهما من سطور قصة لبروست . هذا الكاتب الذى يعرفانه جيدا

ودفع الرجل حسابا — لا شك أنه سيصيب ميزانية الشهر القادم اصابة مباشرة ، وافترقا فى الرابعة ، وهما يتبادلان الاعجاب

وحين عادت ، أخذت تقص على أنطوان ، عشرات القصص حول العمل فى الجريدة ، وكانت الأقاصيص تضحكه

كانت تكذب عليه بنفس القدر الذى تحبه به ، وبنفس القدر الذى تحس به بالسعادة ، وبنفس القدر الذى تحس بالرغبة فى أن تقاسمه هذه السعادة

لا شك أن أنطوان سيكتشف كل شىء ذات يوم

زميلتها السابقة ماريان — والتى كاشفتها بالامر — ستخبره فى التليفون انها هجرت العمل منذ شهر ، ولكن هذا التهديد نفسه كان يعطى لأيامها مذاقا غير متوقع

كانت تشترى الكرافاتات لانطوان ، والكتب الفنية لأنطوان ، والاسطوانات لأنطوان ، وكانت تتحدث عن القروض التى تحصل عليها من الجريدة عن أى شىء

كانت مبتهجة ، وكانت تعكس بهجتها على أنطوان

انها تستطيع الحياة آمنة لمدة شهرين بثمن العقد

شهران من الكسل والارتخاء والاكاذيب

شهران من السعادة

أيام متراخية ، متشابهة ، ممتلئة بوجودها مع أنها خاوية تماما ، نشيطة مع أنها هادئة تماما

وكانت روحها تتحرك فى زمان ليس له حدود ، ولا عودة ، ولا هدف

وكانت تسترجع أيام صباها التى كانت تكره فيها السوربون ، واستعادت رائحة « الخروج على القانون » التى كانت فقدتها منذ زمن طويل

فلم يكن هناك نسبة بين الفراغ الذى كان يتركه شارل لها ، وذلك الفراغ الذى تسرقه من أنطوان

وأى ذكرى أجمل من تلك الذكرى التى تخلعها حياة المراهقة ، من كذبة عذبة كبيرة ، على الآخرين ، وكذبة على المستقبل ، وأحيانا على النفس

الى أى حد كانت تكذب . وهى تجرى أمام ما يبدو أنه سيصبح ، كارثة محققة . حين يشتعل غضب أنطوان ، وحين تفقد ثقة أنطوان ، وحين يضطران الى الاعتراف معا انها لا تستطيع الحياة معه هذه الحياة الطبيعية المتوازنة ، السهلة الى حد ما ، والتى يقترحها عليها ؟

كانت تعلم تماما أن اخفاء هذه الاخطاء لا يعنى مطلقا انها قررت اصلاحها . ففى داخلها شىء تقرر . ولكن على أى شىء استقر ؟ انها لا تدرى . والحق انها قررت الا تفعل الا ما يرضيها ، ولكن مثل هذا الاعتراف يصعب اعلانه اذا كان الانسان يحب شخصا آخر

وكانت فى كل الليالى ، تجد حرارة أنطوان ، وضحكاته ، وجسده ، ولم تكن تحس فى أى لحظة بالرغبة فى خيانته . ولم تكن تستطيع أن تتخيل ال[illegible]ونه ، كما لا تستطيع تخيل الحياة فى أحد المكاتب

وبدأ الجو يزداد برودة . فانتقلت الى حياتها الراكدة

وكانت تنهض فى نفس الوقت الذى ينهض فيه أنطوان ، وتنزل معه ليتناولا القهوة ، وتصحبه أحيانا الى دار النشر ثم تذهب رسميا الى عملها الشاق ، وواقعيا تعود الى غرفتهما . فتخلع ملابسها ، وتعود الى الاستلقاء ، فتنام حتى الظهيرة ، وبعد الظهر تقرأ وتسمع الاسطوانات ، وتفرط فى التدخين ، ثم فى السادسة ترتب سريرها وتخفى آثار مرورها ، وتذهب الى البار الصغير فى شارع ليل ، تنتظر أنطوان ، أو — من باب السادية — تذهب الى بار « بون روايال » لتنتظر الساعة الثامنة ، ثم تعود — وهى مجهدة ! — الى شارع دى بواتييه . وهناك ، ينتظرها أنطوان ، منذ مدة ، فيعتب عليها ، ويقبلها فتتمرغ فى هذه الرقة ، وهذه العذوبة دون أدنى ندم . على أى حال كان لا بد لها من أن تشكو

من انها اضطرت ان تعقد الحياة بهذه الطريقة لرجل بسيط مثل انطوان . كان يمكن أن تقول له فى بساطة : « لقد تركت الجريدة »

وكان يمكن ببساطة أن تقلع عن هذه التمثيليات الصامتة ، ولكن طالما ان هذه الحركات تطمئن أنطوان ، فلا بأس من القيام بها . بل كانت أحيانا تحس أنها كالقديسة

وفى اليوم الذى اكتشف فيه أنطوان الحقيقة ، اضطربت غاية الاضطراب

قال :

ـ لقد طلبتك ثلاث مرات بعد الظهر

وألقى بمعطف المطر على الكرسى ، دون أن يحرجها ، وبقى واقفا أمامها ، لا يتحرك . فابتسمت :

ـ كان يجب أن أترك العمل ساعتين كاملتين . ألم تخبرك ماريان بذلك ؟

ـ نعم . ومتى تركت الجريدة ؟

ـ منذ ساعة

ـ آه ؟

كان هناك شىء فى هذه « الآه » أقلق لوسيل . فرفعت اليه نظرها ، ولكن أنطوان لم ينظر اليها

قال :

ـ كان عندى موعد بالقرب من الجريدة . وطلبتك لأقول لك اننى سأمر عليك لآخذك . ولكنك لم تكونى هناك . وحضرت فى الخامسة والنصف مباشرة . هذا كل شىء

فردت تلقائيا :

ـ كل شىء !

ـ انهم لم يروك منذ ثلاثة أسابيع . ولم يدفعوا لك ولا مليما واحدا

اننى ...

وكان حتى هذه الكلمة الاخيرة يتحدث بصوت خفيض ، ولكن صوته ارتفع فجأة

وانتزع كرافتته بشدة ، وقذفها تجاهها :

ـ من أين أتت هذه الكرافتة الجديدة ؟ وهذه الاسطوانات ؟ أين تناولت غداءك ؟

وقالت لوسيل :

ـ انتظر . ولا تصرخ .. انك لا تفكر على أى حال فى اننى كنت أتجول فى الشوارع .. لا تكن سخيفا ..

وكانت صفعة أنطوان مفاجئة ، فلم تتحرك

وظلت تحمل هذه الابتسامة الصغيرة المطمئنة التى كانت قد رسمتها على شفتيها منذ البداية . ثم أحست بالحرارة فوق خدها ، فوضعت عليه يدها تلقائيا

لكن هذه الحركة الطفولية ضاعفت من غضب أنطوان . فقد أصابه هذا الغضب الطويل الاليم الذى يصيب الذين لا يكترثون بشىء ، ذلك الغضب الذى يؤلم القاتل والقتيل

ـ لم أعد أدرى ماذا فعلت . لقد كذبت على ، باستمرار ، منذ ثلاثة أسابيع . هذا هو كل ما أعرفه

ولفهما الصمت . وفكرت لوسيل فى الصفعة . وتساءلت فى قرارة نفسها ، فى مزيج من الغضب والمتعة : ماذا يليق بها أن تفعل . فقد كان غضب أنطوان المشتعل يبدو لها غير متناسب مع الوقائع

وقال أنطوان :

ـ انه شارل

فنظرت اليه مذهولة :

ـ شارل ؟

ـ نعم ، شارل . الكرافتات ، والاسطوانات ، وشموعك ، وحياتك

وفهمت اخيرا ، وأحست لحظة بالرغبة فى الضحك . ثم رأت وجهه المقلوب ، ولونه الحائل ، وأحست بالخوف المريع من أن يضيع منها

وقالت بسرعة :

ـ ليس شارل ، انه فوكنر ، لا . اسمع . سأحكى لك .. النقود .. انها المجوهرات . لقد بعتها .

ـ ولكنها كانت معك أمس .

ـ انها مزيفة .. انظر اليها . ضع أسنانك عليها ..

لم يكن الوقت مناسبا لتنصح انطوان بأن يعض بأسنانه المجوهرات ، ولا مناسبا لتتحدث عن فوكنر .

لقد كانت ناجحة حين كانت تكذب ، أكثر من نجاحها حين تصدق . وهو لايزال مذهولا مشتعلا بالغضب .

ـ لا أستطيع الاستمرار فى العمل ..

ـ بعد أسبوعين ..
ـ نعم ، بعد أسبوعين . لقد ذهبت الى دوريس ـ الجواهرجى فى ميدان فندوم ، وبعت مجوهراتى ، واشتريت نسخة مزيفة ، هكذا .
ـ وماذا كنت تصنعين طوال اليوم ؟
ـ كنت اتنزه ، واجلس هنا ـ كما كنت أفعل من قبل ـ
وثبت عينيه عليها ، وهو يرغب فى تحويل نظره عنهـا . ولكن من المتفق عليه فى مثل هذه المشاهد أن تحويل النظر يعنى أن هناك كذبة . فاضطرت أن تعلق نظرها بنظره . وأصبحت نظرته الصفراء داكنة ، وفكرت ، للحظة ، أن الغضب يزيده جمـالا ، وهو شيء نادر جدا .
ـ لمـاذا أصدقك الان ؟
انك تكذبين على منذ ثلاثة أسابيع ؟
وقالت متعبة :
ـ لانه لا يوجد شيء آخر أقوله لك .
وتحولت عنه .
واستندت بجبهتها على النافذة ، فرأت بغتة قطة تسير بغـير اكتراث على الافريز ، وهو عدم اكتراث غير معتاد فى مثل هذا البرد.
واستمرت فى صوت هادىء .
ـ لقد قلت لك اننى لم أخلق لمثل هذا .. مثل هذا النـوع من العمل . كان يمكن أن أموت ، أو أصبح قبيحة . كنت تعسة يا انطوان . أهذا هو كل ما تلومنى من أجله .
ـ ولماذا لم تخبرينى ؟
ـ لقد كنت راضيا لاننى اشتغل . ولاننى اهتم بالحياة . وكان لابد أن أتظاهر بذلك .
وتمدد انطوان فوق السرير .
أمضى سـاعتين من اليأس .. من الغيرة ، التى لا تنتهى . واحس بالارهاق الشديد .
كان يصدقها . وكان يعلم انهـا تقول الحقيقة . ولـكن هذه الحقيقة كانت بقدر ما تريحه ، تذيقه مرارة بغير حد .
انها وحيدة ، وستبقى دائما وحيدة . .
وتساءل لحظة واحدة ، ألم يكن من الافضل لو انها خانته ، فينتهى الموقف . ونطق باسمها بصوت تائه يصدر من بعيد :
ـ لوسيل .. الا تثقين بى مطلقا ؟

فمالت عليه ، بعد ثانية واحدة .
وقبلت جبهته ، وعينيه ، وغمغمت قائلة انها تحبه ، وانهـا لم تحب احدا غيره ، وانه مجنون ، ووحشى ، وفظ .
وتركها تقول ما تشاء ، بل كان يبتسم ابتسامة خافتة . فقد كان اليأس يحاصره تماما



- ٢١ -

ومضى شهر .

وعادت لوسيل الى حياتها ـ على نحو شرعى .. ولكنها كانت تحس بالضيق ، حين كان انطوان يعود . فتجيبه كلما سألها عما فعلته :

ـ لا شىء .

كان يسألها ـ مع ذلك ـ نفس السؤال تلقائيا ، دون حدة

وكانت تلحظ ـ فى بعض اللحظات ـ نوعا من الحزن المضطرب فى عينيه . نوعا من عدم الثقة .

كان يحبها بقوة ، وبغضب ، وكان حين يتمدد على ظهره ، وينظر اليها ، يخيل اليه انه ينظر فلا يراها .. وأنه يرى مكانها قاربا يمخر البحر أو سحابة تسيرها الرياح ، شيئا يتحرك ، ويكاد يختفى . ولكنه لم يحبها قدر ما يحبها الان . وكان يعترف لها بذلك فكانت تهوى بجواره ، وتغمض عينيها ، وتبقى صامتة

ويقولون ان الناس ينسون ما يقولون ، ولكن اناسا كثيرين ينسون ماذا يعنى الصمت من جنون ، وجموح ، وسخف .

كانت ترى أمامها شذرات من طفولتها تمر من تحت جفنيها المقفلين ، وترى وجوه بعض الرجال الذين نسيتهم ، وهذا الوجه الاقرب ، وجه شارل ، وتذكرت فجأة كرافتة أنطوان الملقاة على سجادة ديانا ، أو شكل شجرة ضخمة من أشجار مطعم بريكتلان

وبدلا من أن تمثل هذه الذكريات مجموعة موحدة ، وغامضة تستطيع أن تسميها ـ ببهجة ـ ذكريات حياتها حين كانت سعيدة أصبحت هذه الذكريات مجموعة غامضة تثير القلق . على الاقل ، الان لقد كان انطوان محقا

ماذا يحدث لهما ؟

على أى شىء يسبحان ؟

ماذا سيحدث لهما ؟

ان هذا السرير ، الذى كان أسعد القوارب فى باريس ، أصبح لوحا من الخشب الذى يعوم الى غير هدف

وهذه الغرفة التى اعتادت عليها أصبحت ديكورا تجريديا

لقد ادخل أنطوان الاحساس بالمستقبل فى رأس لوسيل ، وبهذه الطريقة ، جعل المستقبل مستحيلا عليهما

وتيقظت ذات صباح من يناير ، وهى تحس بآلام فظيعة فى قلبها . كان انطوان . قد ذهب ، لانه أحيانا ـ أصبح يذهب ، دون أن يوقظها ، كأنها أصبحت مريضة فى فترة النقاهة .

وذهبت الى الحمام ، وأحست بالمرض ، دون أن تندهش لذلك

كانت الجوارب التى غسلتها فى الماء ، قد جفت ، فوق المدفأة . وحين نظرت اليها ، وتذكرت انها لم تعد تملك زوجا ثانيا من الجوارب ، وان الغرفة اصبحت ، مثل الحمام ، وانها لا تملك اى شىء ، قررت الا تحتفظ بطفل انطوان .

ان ما بقى لها أربعة الاف فرنك ، وهى حبلى

لقد هاجمتها الحياة ، وغلبتها على أمرها . هاجمها هذا الذى يهاجم زميلاتها من راكبات المترو ، هذا الذى يصفه المؤلفون حين يقولون « اللا مسئولية تعاقب فى النهاية »

ان انطوان يحبها ، وهو مستعد ان يلعب دور الاب على الطريقة التى يرغبها . لو انها قالت له :

ـ لقد حدث لنا شىء رائع

فلسوف يعتبر الطفل القادم حادثا سعيدا

ولكنها لا تملك هذا الحق

لان هذا الطفل سيقلب حريتها ، ويفقدها سعادتها

ثم ، انها تعلم انها خدعت انطوان ، وقادته الى هذه العاطفة الجامحة ، وكأنها تريد ان تقوده الى امتحان عسير .

انه مستعد للاستسلام لهذا الحادث ، ولكن الامر لا يعدو أن يكون مجرد حادث

انها تحبه كثيرا . اولا تحبه بالقدر الكافى ، ولكنه لا يرغب هذا الطفل ، انها لا ترغب احدا سواه ، هذا السعيد ، الاشقر ، صاحب العينين الصفراوين ، الحد فى أن يتركها متى يشاء

ولعل أمانتها الوحيدة ، هى انها ، وهى ترفض تحمل اية مسئولية لا تريد أن تلقى بمسئوليتها على كتف احد آخر . فليس الوقت مناسبا ، لكى تستسلم للأحلام ، فى انطوان الصغير ،

وهو فى الثـــالثة من عمره ، يجرى على البلاج . ولا فى انطوان الكبير ـ وهو يعلم بقسوة واجبات ابنه المدرسية

انها اللحظة المناسبة لكى تفتح عينيها ، لكى تقارن بين حجم الغرفة ، وحجم سرير الطفـــل ، وبين أجرة المربية ، ومرتب انطوان ، لا شيء يتفق مع شيء

هناك من النساء من يستطعن التصرف . لـكنها ليست من هؤلاء . كما انها ليست اللحظة المناسبة لكى تحلم بنفسها

وحين عاد انطوان ، صارحته بمتاعبها

وبهت لون انطوان قليلا ، ثم احتواها بين ذراعيه

كان يتحدث بصوت حالم ، واحست انها تضغط على فكيها بطريقة غبية

ـ هل أنت متأكدة انك لا تريدينه ؟

وقالت :

ـ لا اريد سواك

ولم تحدثه عن المصاعب المـالية

كانت تخشى أن تجرحه

وخطر له وهو يمر بيده على شعره ، لو انها رغبت فى الابقـاء على الطفل ، لاصبح سعيدا أن يكون له منها طفل . لكنه سيكون ثمرة الهرب ، ولهذا سيحبه ، ولا يستطيع ان يلومها من اجله

فحاول محاولة أخرى

ـ يمكننا ان نحاول الزواج . وأن ننتقل من هنا

وسألته :

ـ والى اين نذهب ؟

انى اظن أيضـــا أن الطفل قيد . ولســـوف تعود لتجدنى مضطربة ، مضطربة المزاج .. سوف . .

ـ ماذا تظنين أن يفعل الاخرون ؟

ـ انهم لا يفعلون مثلنا

وابتعدت عنه

وكان هذا يعنى انهما يصممان بعزم شديد شديد على السعادة

وفى المساء خرجا معا ، وافرطا فى الشراب . .

وفى الغد ، طلب انطوان « عنوانا » من أحد الاصدقاء

- ٢٢ -

كان وجه الطبيب قبيحا ، صارما ، ينطق بالاحتقـــار ، ولم تدر لوسيل اذا كان الطبيب يحتقر نفســـه ، أو يحتقر هـؤلاء النساء اللائى ينقذهن ـ بطريقة أو بأخرى ـ منذ عامين ، من أجل مبلغ اجمالى يصل الى ٨٠ ألف فرنك . كان يأتى فعلته فى بيوتهن ، ودون تخـــدير ، ولا يعودهن الا اذا اقتضت الضرورة القصوى

كان موعدهما فى مساء اليوم التـــالى ، وكانت ترتجف من الرعب والكراهية لمجرد تذكرها انها لابد أن تعود اليه مرة ثانية.

واقترض انطوان الثمـانين الف فرنك ، من دار النشر التى يعمل بهـــا ولم يدر ـ لمجرد الحظ ـ لماذا رفض الطبيب الشهير ـ بسبب اخلاقى غريب ، أو لمجرد الحذر ـ ان يـــرى « هؤلاء الناس » وفيما مضى ، كان هنـاك طبيب سويسرى ، بالقرب من لوزان ولكنه يكلف مائتى الف فرنك ، بالاضافة الى مصاريف السفر

والفكرة اذن مستبعدة ، ولهذا لم تشر لانطوان ، ولو من بعيد الى هذا الطبيب . فالعنوان للمتحذلقين فقط

اذن لابد أن تستبعد الذهاب الى العيادة ، أو أن تعتنى بها ممرضة ، وان تحقن بالمهدئات ، عليها اذن أن تستسلم لهذا الجزار وعليها أن تحاول استعادة صحتها ـ وقد يســتغرق ذلك عدة أشهر . وتبقى صحتها معتلة

كان كل شيء شنيعا ، بشعا

وتذكرت بمرارة وهى التى لم تأسف مطلقا على حماقاتها ، انها اخطأت حين تصرفت فى عقد اللؤلؤ قبل الاوان . وتوهمت انها ستنتهى نهاية بطلة قصة « النخيل المتوحش » ، وأن انطوان .. سينتهى الى السجن

واخذت تتجـول فى الغرفة كالحيوان . والقت بنظـــرة الى وجهها ، والى جسمها النحيل ، وخيل اليها انها أصبحت قبيحة، مريضة ، منهكة وانها ستحرم الى الابد من تلك الصحة الجيدة

التى كانت تحقق لها قدرا كبيرا من سعادتها بالحياة
واشتعل غضبها
وفى الرابعة ، اتصلت تليفونيا بانطوان
كان صوته متعبا ، قلقا ، ولم تجرؤ على ان تفاتحه بخوفها .
واحست فى هذه اللحظة ، لو انه طلب منها ابقاء الطفل ، فانها ستقبل عن طواعية ..
ولكنها كانت تحس بالطفل غريبا عليها ، واحست بالرغبة فى ان يحميها اى شخص
واحست بالاسف لانه ليس لها صديقة من النساء ، تستطيع أن تفاتحها بهذه المشاكل النسائية ، وتستطيع ان تسألها عن بعض التفاصيل ، التى لا زالت تحس بالرعب حين تثار فى ذهنها.
لقد كانت صديقتها الوحيدة هى بولين . وتذكرت تلقائيا ، وهى تتمتم باسم بولين ، اسم شارل
شارل الذى حذفته من ذاكرتها كأنه ندم أليم
لانه الاسم الذى يمكن أن يعذب انطوان
وبعد لحظة ، عرفت انها ستلجأ الى شارل ، وان أحدا لن يقفها عن ذلك ، وانه المخلوق الوحيد الذى يستطيع تبديد هذا الكابوس . وحدثته فى التليفون ، وادارت الرقم القديم فى المكتب وحيت عاملة التليفون
وكان شارل هناك
وتملكها انفعال غريب ، حين سمعت صوته ، وتوقفت بعض الوقت حتى تسترد أنفاسها
ـ شارل · أريد أن أراك · اننى ألاقى المتاعب
فقال شارل بصوت هادىء :
ـ سأرسل اليك السيارة خلال ساعة . كل شىء سينتهى على خير
وانتظرت لحظة حتى يضع السماعة ، وتذكرت لهجته المهذبة جدا ، واقفلت هى الاخرى
ثم لبست ثيابها بسرعة
وكان عليها أن تنتظر ثلاثة ارباع الساعة ، فوضعت جبهتها على زجاج النافذة ، حتى وصلت السيارة
وحياها السائق بابتهاج ، وجلست على المقعد الذى اعتادت ان تجلس عليه ، وهى تحس براحة كبيرة
وفتحت لها بولين الباب ، وقبلتها

لم يتغير شىء فى الشقة الدافئة الفسيحة الهادئة . وكانت السجادة الزرقاء تحت الاثاث مريحة للعين . وفى لحظة ، احست أن ثيابها غير لائقة ، فانتابتها نوبة من الضحك
انها عودة « الطفل الشقى » . ولكن الطفل هذه المرة ، يعود حاملا طفلا
وعادت السيارة لاحضار شارل
وجلست كالعادة فى المطبخ ، مع بولين ، امام كأس من الويسكى
ووجدتها بولين قد نحفت ، ورأت عينيها تحيط بهما الغضون،
واحست لوسيل بالرغبة فى أن تضع رأسها على كتف بولين ، وأن تعترف لها بكل شىء
واعجبت لوسيل برقة شارل لانه سمح لها بأن تعود وحدها الى منزله ، كما كانت تفعل من قبل ، ولانه تركها تعتاد على ماضيها ، ولم يدر بخلدها ان هذا التصرف نوع من الذكاء والحصافة
وحين وصل شارل ، ودخل الى الصالة ، وصاح ـ فى شبه بهجة : « لوسيل » أحست أنها عادت الى الوراء ستة أشهر · لقد زاد تحوله ، وتقدم فى السن أيضا .وأخذها من ذراعها ، ليصحبها الى الصالون · وطلب من بولين كأسين أخريين . فاحتجبت بولين ، ثم اقفل الباب ، وجلس امامها . واحست فجأة بالخجل . فألقت بنظرة دائرية ، ولاحظت أن شيئا لم يتغير ، وعادت تقول ان شيئا لم يتغير ، حتى هو
وهدأ صوتها ، وجنت حين تصورت أنه سيظن أنه سيستأنف علاقته معها
فأخذت تتحدث بسرعة حتى انه طلب منها أن تعيد ما قالته :
ـ شارل . اننى انتظر مولودا . ولا اريد ابقاءه . ولابد أن اذهب الى سويسره ، وليس معى نقود
وهمس بأنه ظن مثل هذا الظن
ـ هل انت متأكدة انك لا تريدينه ؟
ـ لست أملك وسيلة لابقائه
واحمر وجهها . ثم قالت :
ـ ثم اننى أريد البقاء حرة
ـ هل انت واثقة أن المسألة ليست مجرد مسألة مالية ؟
ـ واثقة تماما ..
فنهض · وخطا بضع خطوات

ثم عاد ، ليضحك فى حزن :

– ان الحياة لا تعطينا ما نريد ! اليس كذلك ؟ .. كنت أود أن ادفع اى شيء ليكون لى طفل منك ، وكان يمكن أن تكون عندك مربيتان ، لو شئت ، ولكنك ما كنت ستحتفظين بالطفل على أى حال . اليس كذلك ؟

– نعم .

– انك لا تريدين أن يكون لك اى شيء على الاطلاق . اليس كذلك ؟ لا زوج ، ولا طفل ، ولا بيت .. لا شيء على الاطلاق . شيء لا يخلو من الغرابة

– لا اريد الاحتفاظ بشيء . انت تعلم ذلك . اننى اكره الامتلاك

وذهب الى مكتبه ، وكتب شيكا ، وقدمه اليها .

– اننى اعرف عنوانا فى جنيف . وكل ما ارجوك هو أن تذهبى اليه ، حتى اطمئن

هل تعدينني ؟

وهزت رأسها . كان حلقها جافا . وودت لو صرخت ترجوه الا يكون لطيفا ، طيبا ، والا يهيج الدموع فى مآقيها . دموع الراحة ، والمرارة ، والجنون

وجمدت نظرها على السجادة الزرقاء ، وشمت رائحة التبغ والجلد التى تفوح دائما من المكتب ، وسمعت صوت بولين التى كانت تضحك مع السائق

واحست بنوع من الدفء فى هذا الملجأ

وقال شارل :

– اننى انتظرك دائما . احس بالملل الفظيع بدونك

وليس من اللياقة ان اقول لك ذلك الان . ولكننا لم نعد نتقابل

وانتزع ضحكة ، فاضطربت لوسيل

ونهضت فجأة ، مغمغمة بصوت حاد

شكرا ..

واسرعت نحو الباب

ونزلت السلم ، ودموعها تتدفق . وسمعت صوت شارل وهو يصيح :

– اعطنى بعض اخبارك ، او للسكرتيرة . أرجوك

ومشت تحت المطر . واحست انها انقذت . واحست انها ضائعة

•

قال انطوان :

– لا اريد مليما من هذه النقود

ماذا تظنين . ماذا يعتقد هذا الرجل ؟ هل يظن اننى قواد ؟ آخذ منه امرأته ، واجعله يدفع تكاليف حماقاتى ؟

– انطوان ..

– هذه مبالغة ، مبالغة ، مبالغة . اننى لست نموذجا للاخلاق ولا أدعى ذلك . ولكن لكل شيء حدوده . انك ترفضين ابقاء طفل منى ، وتكذبين على ، وتخفين عنى بيع مجوهراتك ، وتفعلين أى شيء من اجل لذائذك الخاصة . ولكنى لا يمكن ان اوافق على ان تقترضى مالا من حبيبك السابق لتقتلى طفل حبيبك الحالى . هذا مستحيل

– تظن ان من الاخلاق ، أن أوضع تحت يد جزار « تدفع » له اجرته . يجرى عمليته بدون بنج ، ويتركنى أموت ، اذا حدثت اقل مضاعفات ؟

أمن الاخلاق ان اظل مريضة ، وقد يستمر ذلك الى الابد ؟ طالما ان شارل هو الذى سيدفع ذلك ؟

وأطفأ المصباح الاحمر ، وتحدثا بصوت خفيض ، وهما يخشيان من أن ترفع المناقشة نبرة الصوت . ولاول مرة ، احسا انهما يتبادلان الاحتقار . كانا يريدان ذلك . ولم يستطيعا التحكم فى نفسيهما

– انك جبانة ، وانانية

وستجدين نفسك وحيدة فى الخمسين . بلا شيء . ان ظرفك البديع لن يبقى . ولن تجدى احدا بدفئك

– انك جبان أيضا مثلى . بل منافق

وليس ما يحرجك انك ستقتل طفلا . ولكن ما يحرجك هو أن شارل يدفع تكاليف ذلك

انك تضع شرفك قبل صحتى

قل لى ، اين تضع شرفك هذا ؟

واحسا بالبرودة . وامتنعا عن التلامس . واحسا أن ثقل

العالم اجمع يجثو فوقهما فى هذا السرير الضخم . ورايا ليالى الوحدة ، ومتاعب المال ، ورايا وسط عاصفة من النيران انفجارات ذرية ، ورايا مستقبلا عدائيا ، عسيرا ، ورايا الحياة منفصلين .. الحياة من غير حب

واحس انطوان انه اذا ترك لوسيل تسافر الى سويسره فانه لن يغفر لنفسه ذلك ، وان خاتمة حبهما توشك . واحس أن هذا الطبيب خطر ، واحس انها لو ابقت الطفل ، فانها ستتعود على الارتباط به ، ولكنها ستحس بالملل ، ولن تحبه

انها خلقت للرجال ، ولم تخلق للاطفال ، لانها نفسها لن تبلغ الرشد مطلقا . وحتى لو بلغت رشدها ذات يوم ، فلن تحبه على هذا النحو

واخذ يقول طوال اليوم لنفسه

ـ هذا مستحيل . فالنساء تمر ذات يوم بمثل هذا الذى تمر به لوسيل . يحملن أطفالا . وسيصادفن متاعب مالية . انها الحياة . وعليها ان تدرك هذا . ان المشكلة هى انانيتها !!

ولكنه كان حين يراها ، ويرى وجهها السرحان ، القلق ، يحس بأن المسألة ليست ضعفا جديرا بالخجل ، ولكنها قوة عميقة ، مختفية حيوانية تلك التى تبعدها عن مجرد الحياة الطبيعية . ولم يستطع ان يخفى انه يحترم احتراما غامضا هذا الذى كان يحتقره فيها منذ عشر دقائق

لقد أصبح لا يمكن لمسها . وقد جعلتها رغبتها فى التمتع « منبوذة » وجعلتها انانيتها « عالية الخلق » ، كما جعلتها عفتها عن المصلحة « لا تعبأ بشىء »

واخذ انطوان يئن انينا غريبا ، انينا يطفو من طفولته منذ مولده .. من كل مصيره كانسان

ـ أرجوك يا لوسيل . ابقى الطفل . انه فرحتنا الوحيدة ..

ولم تجب

وبعد بضع دقائق ، مد يده نحوها ، ولمس وجهها فالتقت أصابعه بدموعها التى تنهمر فوق خديها وذقنها واخذ يمسحها باضطراب

واستأنف الحديث :

ـ سأطلب علاوة ، وسوف تحل كل المشاكل . ان هناك عددا كبيرا من الطلبة الذين يرعون الاطفال فى المساء ، ويمكن أن نعهد به الى الحضانة طوال اليوم ... وليس هذا صعبا . وسيبقى

سنة ، وسنتين ، وثلاث ، وسيكون لنا

وكان يجب ان اقول لك ذلك فى اليوم الاول ، ولا اعرف لماذا لم اخبرك به

لابد ان نحاول ، يالوسيل

ـ انك تعلم جيدا لماذا لم تحاول . انك لا تؤمن بالحكاية ، أكثر منى

وكانت تتحدث بصوت هادىء ، وهى لا تنقطع عن البكاء

ـ اننا لم نبدأ هكذا . لقد اختفينا طويلا . وقد خدعنا الناس وقد جعلناهم تعساء . لقد خلقنا للمتعة غير الشرعية . لا لنكون تعساء معا . اننا لم نجتمع الا لسعادتنا ، وانت تعلم يا انطوان .. فلا انت ، ولا انا ، نقوى على ان نصبح مثل الاخرين

وانقلبت على بطنها ، ووضعت رأسها على كتفه

ـ الشمس ، الشاطىء ، الرفاهية ، الحرية .. هى حسابنا يا انطوان ، لسنا نستطيع الان شيئا . انه فى داخل رؤوسنا وتحت جلودنا . هكذا . ولعلنا ، من يسمونهم « انـ[illegible] فاسدون » ولكننى لا احس بالفساد الا اذا تظاهرت بتصديقهم

ولم يجب

وظل ينظر الى البقعة التى يلقيها المصباح على السقف

واعاد النظر الى وجهها التائه ، واحس برغبة قوية فى ان يراقصها فى « برى كاتلان » . واستعاد الحنين القوى الى دموعه ـ فى هذه اللحظة ـ وتذكر انه اشتاق ذات مرة ان تبكى على كتفه ، حتى يهدىء من روعها

لقد بكت الان . وقد كسب ، ولكنه لا يستطيع تعزيتها

انه لا يرغب كثيرا فى هذا الطفل ، وهو لا يرغب فى شىء سواها ، وحيدة حرة ، لا يمكن الامساك بها

فلقد قام حبهما على القلق ، وعدم الاكتراث ، ومتعة الجسد

واحس بدفعة قوية من الحنان ، وامسك بهذه المخلوقة ـ نصف امرأة ونصف طفلة ـ هذه المريضة ، هذه التى لا تتحمل المسئولية ، امسك بحبه بين ذراعيه وحدثها فى اذنيها :

ـ غدا صباحا ، سأمر لاحضار تذاكر الطائرة الى جنيف

— ٢٣ —

مضى اسبوعان

واستغرقت العملية الناجحة وقتا قصيرا ، وحين عادت اتصلت بشارل تليفونيا ، لتطمئنه . ولكنه لم يكن موجودا فتركت له رسالة عند عاملة التليفون ، وهي تحس احساسا غامضا بخيبة الامل

كان انطوان مشغولا فى طبعة ادبية جديدة عهد بها اليه ، وتحسن مركزه بشكل ملحوظ بسبب انقلاب ، من هذه الانقلابات الكثيرة ، التى تحدث فى دور النشر . وكانا يتعشيان عادةمع بعض اصدقاء، او زملاء ، او معارف انطوان وكانت تندهش ، للتحسن الذى طرأ على علاقتهما . لم يتحدثا مطلقا عن جنيف ، ولكنهما بدآ يحتاطان. والحق ، ان ذلك لم يكن صعبا جدا ، لانهـا كانت متعبة فى أغلب الاحيان ، ولان انطوان كان مشغولا دائما . وكان يحـدث لهما ان يتبادلا القبلات الحنونة قبل النوم ، ووجهاهما متقابلان فى البداية، ثم ينقلبان ظهرا لظهر بعد ذلك

وقابلت جونى فى مقهى الفلور ، بعد ظهـر يوم من ايام فبراير . وكانت السماء غزيرة المطر . كان يقرأ مجلة فنية بعين زائغة ، لان شابا اشقر جذابا يجلس على مقربة منه ، واخذت لوسيل تقترب منه ، خلسة ، ولكنه ناداها ودعاها بحرارة ، فجلست بجانبه

وكان لونه قد اسمر ، واخذ يضحكها على مغامرات كلير الاخيرة فى مصيف جستاد . لقد استبدلت ديانا دبلوماسيها الكوبى بروائى انجليزى يخونها مع شبان آخرين ، وكان جونى بالطبـع متمتعا بالقصة . وسألها عن اخبار انطوان ، وهو زائغ البصر ، واجابتـه اجابة غامضة . لقد مضى وقت طويل ، لم تنطلق فى ضـحكاتها ، بحرية ، وخبث

وقال جونى ان اصدقاءه اذكياء عموما ، ولكنه يشك فى انهم جادون

وقال جونى :

ـ اتعلمين ان شارل ينتظرك دائما . حاولت كلير ان تقذف الى ذراعيه فتاة صغيرة اسمها كليرفو ولكن العلاقة لم تستمر غير يومين. لم اشهد رجلا يتثاءب بهذا الالحاح . فهو يتنقل من قاعة الفندق

الى مطعم الفندق الى بار الفندق يوزع قرفه على الجميع . مريع .. ماذا فعلت فيه ؟ ماذا تفعلين للرجال عموما ؟ اننى احتاج الى نصائحك اشد الاحتياج

وابتسم

لقد كان يستلطفها دائما ، وقد ساءه ان يراها تلبس تاييرا قديما وان يرى شعرها منكوشا

لقد كانت دائما تتمتع بظرف المراهقة ، وهذه الروح النائية ، والمتسلية . ولكنها الان اصبحت مخيفة حائلة اللون .

وبدأ يقلق عليها .

ـ هل انت سعيدة ؟

فأجابته بالايجاب . بسرعة شديدة . واستنتج انهـا تحس بالضجر ، على أى حـال ، لقد كان بلاسان لينير لطيفا معه على الدوام ، فلماذا لا يحاول ان يعيد اليه لوسيل ؟ ستكون حـركة طيبة

ونسى تماما وهو يبحث داخل دوافعه حركة الغيرة العنيفة التى احس بها ، منذ ثمانية اشهر ، حين رآها هى وانطوان ، يتبادلان النظر ، وقد ابيض لونهما من الرغبة ، وهما ساكنان ، فى حفـل الكوكتيل الذى اقامه ذلك الامريكى حين كان انطوان ولوسيل فى قمة غرامهما

ـ لابد ان تتصلى تليفونيا بشارل ذات يوم . ان حالته ساءت ، وكلير تخشى ان يكون مريضا مرضا فظيعا

ـ تريد ان تقول ...

ـ انهم يتحدثون كثيرا عن السرطان ، هذه الايام . ولكننى اخشى ان هناك شيئا من الحقيقة

وكان ينظر بتسلية الى وجه لوسيل ، وقد زاد لونها شحوبا .

وشارل .. شارل هذا اللطيف ، وحيد فى شقته الواسعة شارل الذى هجره كل هؤلاء الذين لا يحبهم ، وكل الفتيات اللاتى يرتمين عليه بسبب نقوده . شارل مريض . لابد ان تتصل به ، ان انطوان على أى حال ، مشغول طوال الاسبوع القادم بحفلات الغداء والعشاء

وشكرت لوسيل جونى لانه نبهها ، وتذكر جونى مؤخرا ان كلير تكره لوسيل . ولكنه لم يرض ان يلعب دورا حقيرا ضد لوسيل العزيزة

واتصلت لوسيل بشارل ، ذات صباح ، فاتفقا على تناول الغداء معا فى اليوم التالى

كان اليوم من ايام الشتاء ، باردا مضيئا ، والطقس رائع ، وجدت من الضرورى ان تتناول بعض الكوكتيل لتحس بالدفء . وكذلك هو . ومسحت يدا المتردوتيل المائدة ، واصبح الجو دافئا ممتعا ــ وهذه الحركة الخفيفة فى المطعم ، كانت حركة مطمئنة

واختار شارل قائمة الطعام ، بمعرفته الدقيقة المعهودة ومذاقه المعروف . وكانت تلاحظه بانتباه ، لتتبين علامات المرض على وجهه ، فوجدت ان الشباب قد عاد اليه منذ لقائهما الاخير

وانتهت الى ان تقول له ، وكأنها تؤنبه بلهجة غامضة ، وابتسم

ــ لقد صادفت المتاعب هذا الشتاء . برد لا ينتهى . فأمضيت ثلاثة اسابيع مميتة فى رياضة الشتاء ، وانتهى البرد

ــ قال لى جونى انك تلقى متاعب صحية ..

فقال بابتهاج :

ــ انا ، ليس صحيحا البتة . كان لابد ان احدثك عنها لو ان الامر حقيقى

ــ هل تقسم لى على ذلك ..؟

فظهرت عليه الدهشة بصدق

ــ والله ، اقسم لك . انك تتمسكين باليمين دائما ؟

وقد مضى وقت طويل لم اضطر فيه الى ان اقسم لك على شىء . وضحك ، فضحكت

ــ لقد افهمنى جونى انك مصاب بصراحة .. بالسرطان

وتوقف عن الضحك

ــ ولهذا السبب اتصلت بى ؟ لا تريدين ان اموت وحدى ؟

وهزت راسها ثم قالت :

ــ احسست ايضا بالرغبة فى ان اراك

ودهشت ، لانها احست ان ما قالته صدق وحقيقة . وقال شارل بلهجة العتاب

ــ اننى حى ، ياعزيزتى لوسيل ، ولكن الموتى يحسون اكثر مما احس . اننى لازلت اعمل ، ولكننى لا احس بالجراة على الحياة بمفردى فى بيتى ، ولذلك اخرج .

وسكت برهة ، ثم استأنف الحديث بصوت اكثر انخفاضا :

ــ لازال شعرك اسود ، وعيناك دعجاوين ، وجمالك فتانا .

ولاحظت أن احدا لم يحدثها منذ مدة عن لونها ، ولا عن هيئتها

ولا شك ان انطوان يعتقد ان رغبته تستبعد كل ضرورة للشرح . ولاشك ايضا ان من اللطيف ، ان يظل هذا الرجل الناضج فى

مواجهتها ، هذا الرجل الذى يتفحصها كانها شىء لا يمكن الفوز به ، ولا ينظر اليها برغبة يمكن أن تتحقق فورا

وقال :

ــ اتساءل اذا كنت حرة مساء الخميس .

فى قصر آل لى‌مول بجزيرة سان لوى حفلة موسيقية . سيعزفون كونشرتو موزار للفلوت والهارب ، الذى تحبينه . وقد قبلت لويز فيرمر ان تجىء للعزف ، ولكن ذلك بلا شك . سيكون صعبا عليك ؟

ــ لماذا ؟

ــ لست ادرى ، اذا كان انطوان يحب الموسيقى ، و[illegible]ـة اذا كانت الدعوة منى ، سوف تقلقه ؟

انه شارل على طريقته الخاصة . لقد دعاها مع انطوان . لانه مهذب ، وهو يفضل ان يراها مع انطوان على الا يراها مطلقا

انه ينتظرها ، ويخرجها من مأزقها ، مهما حدث ، لقد نسيته ستة اشهر ، وكان لابد لها ان تصدق قصة الموت حتى يعان رأيه

من أى شىء أتى ذلك ، وكيف يستطيع أن يتحمل هذه العلاقة غير المتكافئة ، وكيف يجد ما يغذى ذلك الحب ، ذلك الكرم وهذا الحنان الذى لا يرد عليه بشىء ؟

ومالت نحوه :

ــ لماذا لا زلت تحبنى ؟ لماذا ؟

وكان صوتها جافا ، كأن بينهما ثأرا

فتردد لحظة :

ــ أستطيع أن أقول لك ، لانك لا تحبيننى . ويكون هذا سببا وجيها . ولكن هناك اشياء اخرى ــ فيك ــ قد خلبتنى انها ..

وتردد لحظه :

ــ لست أدرى . احساسى انك تذهبين الى جهة ما ، والله يعلم انك لا تريدين الذهاب الى اى مكان . بشىء يشبه الجشع ، فى شخصيتك ، والله يعلم انك لا تريدين امتلاك أى شىء ، شىء يشبه المرح الدائم ، وأنت تبتسمين نادرا

ان الناس يبدون كأن الحياة تغطيهم ، وأنت تبدين كأنك تغطين الحياة . اننى لا اعرف كيف اشرح

هل تريدين كأسا بالليمون ؟

وقالت شبه حالمة :

ــ انه مفيد للصحة

ان انطوان سيذهب للعشاء الذى اعدته دار النشر ، وسأحضر وحدى ، اذا اردت

وكان لا يريد غير هذا

وتواعدا على الثامنة والنصف ..

وحين ذكر كلمة « البيت » لم يفكر فى شارع دى بواتييه . فشارع دى بواتييه ، ليس سوى غرفة ، ولم يكن غير هذا . لم يكن بيتا . حتى لو كان البيت الفردوس والجحيم معا



— ٢٤ —

كان بيت دى لامول قصرا من قصور الوزراء فى الثامن عشر ، ولذلك كانت غرفه فسيحة ، واشجاره شاهقة رائعه . وكان ضوء الشموع دقيقا ناعما . (دقيقا لانه يستطيع أن يستخرج التعبير أو اللاتعبير من الوجوه ، وربما لانه يمسح العمر من عليها) وكان الضوء يزيد من المساء ، ومن روعة الصالون الكبير

وكان الاوركستر فى الداخل ، فوق شيء يشبه المسرح ، وكانت لوسيل — وهى تميل برأسها لتتجنب انعكاس ضوء الشموع فى المرايا ، تستطيع ان ترى نهر السين ، الاسود المضيء ، على بعد عشرين مترا

وكان هناك نوع من اللاواقعية فى هذه السهرة . فقد كان المنظر مدهشا ، والديكور رائعا ، والموسيقى نشوى ، ولو انها جاءت منذ عام مضى ، لكان يمكن أن يصيبها الملل والتثاؤب وكان يمكن ان تتمنى ان يتزحلق احد المدعوين لسوء حظه وان ينكسر أحد الاكواب بصوتها العالى ، ولكن شيئا ما فى داخلها — فى تلك الليلة — كان يحب ذلك الاستقرار ، والنظام ، والجمال الذى تراه وتسمعه ، الذى وصل اليه الموقرون من آل لامول ، بفضل العمل فى المستعمرات وهمس شارل :

— انه الكونشرتو الذى تفضلينه

وكان يجلس بجوارها . واستطاعت أن ترى بريق قميصه تحت السموكنج ، وقصة شعره الدقيقة ، ويده المعتنى بها . تلك اليد الطويلة ، وهى تمسك كأس السكوتش ، التى كان يمدها اليها فى نفس اللحظة التى ابدت فيها رغبتها فى ان تتناول كاسا

كان فاتنا فى ذلك الضوء المتردد . كان يبدو عليه الوثوق من نفسه وثوقا طفوليا الى حد ما ، وكانت تبدو عليه السعادة

وكان جونى قد ابتسم حين رآهما يصلان سويا ، ولم تسأله عن سبب اكذوبته

وكانت العازفة العجوز تميل نحو آلة الهارب ، وهى تبتسم نصف ابتسامة ، وكانت عازفة الفلوت تفحصها بنظرها ، وكان

وكان يمكن ان ترى حلقها وهو ينبض
كان هناك جمع مدهش ، وكان لابد وان يصاب بالخجل .
في ليلة تشبه ليالى بروست . كأنهم كانوا مدعوين عند آل جردوران ، وكان موريل الشاب يبدأ أولى خطوات حياته . ولم يكن شارل سوى شخصية « سوان » المشتاقة

ولكن لم يكن لها دور فى هذه الكوميديا الرائعة . كما لم يكن لها فى الجريدة التى تعمل بها فى ذلك المكتب المتجمد منذ ثلاثة اشهر ، كما لم تكن تستطيع ان تجد حياتها خلال هذه الاشـــهر لم تكن تحسن المعاشرة ، كما لم تكن مثقفة ، وكما لم تكن أما لاطفال.

كانت لا شيء

واســتطاعت الضربات القليلة التى عزفتهـــا لويزفيرمر على « الهارب » أن تدفع الدموع الى عينيها . .

فقد كانت الانغام تزداد نعومة ، وتزداد حنينا ، فلا تستطيع مقاومتها . كانت هذه الموسيقى « غير انسانية » .

انها تجاهد نفسها لتصبح سعيدة ، ولتصبح رقيقة ، ولكنها تسبب التعاسة لرجلين فى نفس الوقت ، وهى لا تدرى من هو التعس بالذات .

وتوقفت العازفة العجوز عن العزف ، وأصبح « الهارب » وحشيا ، الى درجة أن لوسيل مدت يدها فجأة الى اول مخلوق على مقربة منها ، أى الى شارل ، وامسكت بيده

وكانت هذه اليد ، وهــذا الدفء ، المؤقت بالطبع ، ولــكن دفء حى ، كان هذا الملمس للجلد ، كان هذا هو كل ما يفصل بينها وبين الموت. بينها وبين الوحدة . بينها وبين الانتظار المرعب هذا الذى يتدفق ويتجمع معا ، هناك الفلوت والهارب ، الشاب الخجول ، والمراة العجوز ، كانت تتجمع بالتساوى ، وفجأة ، فى هذا الازدراء للزمن الذى تثيره موسيقى موزار

وابقى شارل يده فى يدها . ومن وقت لآخر ، كان يصب بيده الاخرى كأسا ، ويقدمها ليد لوسيل الثـــانية . وشربت كثيرا .. بهذه الطريقة . كما استمرت الموسيقى ، وزاد اطمئنان يد شارل الطويلة الدافئة ، فى يدها . فمن هو هذا الرجل الاشــقر الذى يرسلها الى مكتبات الافلام السينمائية ، تحت وابل المطر ، وهــذا الذى يريدها ان تعمل ، ويريدها ان تذهب لانصاف الجزارين لكى تجهض نفسها ؟ من هو هذا الانطوان ، الذى يعتبر هؤلاء الرجال الظرفاء ، وهذا الضوء الرائع الذى ترسله الشموع ، وهذا العمق

الهادىء للارائك ويعتبر موزار ، يعتبر كل ذلك شــــيئا منحــلا ، لا شك انه لا يقول شيئا عن الارائك ، ولا عن الموســـيقى ، ولا الشموع ، ولا موزار ، ولكنه يعنى بذلك هؤلاء الذين يمنحونه فى هذه اللحظة كل هذا ، وفوق ذلك هذا الشراب الذهبى المثلج المثير للحماس ، والذى ينساب فى حلقها كالماء

وأصبحت لوسيل سكرى ، جامدة ممتلئة ، تزم بقبضتها على يد شارل كانت تحب شارل ، كانت تحب هذا الرجل الصامت الحنون ، وكانت تحبه دائما ، ولم تعد تريد ان تتركه ، ولذلك اندهشت من ضحكته المتوترة ، حين اعلنت حبها له ، وهما داخل السيارة .

وقال لها :

ـ انني اهب كل ما املكه حتى اصدقك ، ولكنك قد سكرت ، لست انا الذى تحبينه

والاكيد ، انها حين رأت شعر انطوان على الوسادة ،وذراعه الطويلة مكانها ، علمت ان شارل محق فيما يقول . وأحست بالندم والاسى للمرة الاولى ..

واحست بالندم مرات اخرى عديدة بلاشك

انها كانت تحب انطوان دائما ، ولكنها لم تعد الآن تحب ان تحبه ولم تعد تحب حياتهما المشتركة ، واختفـــاء « اللمسة » التى تسببها قلة المال ، ورتابة الايام .

وكان هو ايضا يحس بذلك ، ولذلك ضاعف من نشاطه الخارجى ، وكاد يهملها . فالساعات الخاوية ، التى كانت تمر فيما مضى ، مليئة بانتظاره ، وفى انتظاره ، اصبحت خاوية فعلا ، لانها لم تعد تنتظره كمعجزة ، ولكن كعادة

وكانت ترى شارل احيانا ، ولم تعد تتكلم عنه لانطوان ، فلم يعد من المفيد ان تضيف الغيرة الى هذا العذاب المستسلم فى عينيـــه الصفراوين

وفى الليل ، أصبحت اقرب الى الاشتباك فى صراع من الالتحام فى غرام

وهذا العلم الذى استخدماه ، لكى يطيلا متعة كل منهما ، أصبح وسيلة وحشية للانتهاء بسرعة .

ليس بسبب الملل ، ولكن بسبب الخوف .

اصبحا ينامان على شكاياتهما ، ونسيا ان هذه الشكاوى كانت فيما مضى سببا لحبهما .

وفى احدى الامسيات ، كانت قد افرطت فى الشراب ، وكانت فى

هذه الايام تفرط فيه ، فعادت الى شارل . ولم تكن تدرك ما تفعله وقالت لنفسها ببساطة انها سوف تخبر انطوان بما حدث. وعادت فى الفجر وايقظته

منذ ستة اشهر مضت كان فى نفس الحجرة ، مجنونا بحبها ، حتى انه ظن انه فقدها ، وان التى فقدها هى ديانا وليست لوسيل لكنه الآن فقدها الى الابد . انه الآن قد فقد سلطته او قوته ، أو شيئا ما لا يعرفه . وأصبحت الايام العديدة تمر به ، وهو يمضغ بعناد هذه الهزيمة وهذا الاحساس بالعجز

وكان لابد من ان يقال له ان لافائدة ، ومن انها كانت تخونه دائما مع شارل . مع الحياة ، مع طبيعته الخاصة . ولكنه استعاد شهور الصيف ، واستعاد مذاق دموعها فى شهر اغسطس وهى تتساقط فوق كتفه ، ولا ينطق بكلمة

ومنذ شهر ، ومنذ حادثة جنيف بالذات اصبح ينتظر ذهابهما .

ولعل هناك اشياء تحدث بين الرجل والمراة ، دون ان تجرحهما جرحا لا يعالج مهما كانا احرارا ، ولعل تلك الاقامة فى جنيف كانت جزءا من هذا الجرح العميق او لعله قرر ذلك ، منذ ضحكا تلك الضحكات الصبيانية المجنونة ، وهما عند كلير سانتريه . ولا بدله من انقضاء وقت طويل حتى يسترد نفسه ، وقد تأكد له ذلك ، وهو ينظر فى المرآة ، الى وجه لوسيل المتعب ، وعينيها الرماديتين ، اللتين تحيط بهما الغضون

انه يعرف كل زاوية من زوايا وجهها ، وكل انحناءةمن انحناءات جسدها ، وليس من السهل ان يتخلص من كل ذلك كانما يتحدثان احاديث عادية باهتة . وكانت تحس بالخجل ، فقد كان الحديث معه . ولكنه لم يصرخ

خاليا من العاطفة ، ولعله كان يكفى ان يصرخ حتى تقرر البقاء

لكنه قال :

ـ على اى حال ، لم تكونى سعيدة

ـ وانت كذلك

وتبادلا ابتسامة اعتذار غريبة ، وضحكة مرتبكة ، واجتماعية فوقفت . وتركت المكان وحين اقفلت الباب ، صاح باسمها بالرغم منه

ـ لوسيل ، لوسيل

وعادت على قدميها ، الى شارل ، الى الوحدة ، وهى تعلم انها قد ابتعدت تماما عن اى وجود يليق بكلمة الوجود ..

وكانت تعلم أن الشىء الذى لم يسرق منها هو هذا الاحساس

ـ ٢٥ ـ

وبعد عامين التقيا عند كلير سانتريه . انتهت القصة بان تزوجت لوسيل من شارل ، واصبح انطوان مديرا لمجموعة جديدة من الكتب ، وقد دعى بهذه الصفة ، واصبحت اعماله تستغرقه ، ولم يعد يميل الى ان يسمح لنفسه وهو يتكلم

كانت لوسيل لاتزال على رشاقتها ، تبدو السعادة واضحة على ملامحها . وكان بين المدعوين شاب انجليزى يدعى سوامز لا ينقطع عن الابتسام لها . وكان انطوان يجلس الى جانبها على المائدة ، اما بالصدفة ، او بفضل المؤامرة الكبرى التى دبرتها كلير ، فأخذا يتحدثان بشىء من التكلف عن الادب

وسألها الشاب الانجليزى ،الذى كان يجلس فى نهاية المائدة :

ـ من اين ياتى هذا التعبير « الخفقات »

ـ طبقا لقاموس « ليتريه » فهى دقات الطبول التى تعلن الهزيمة كما قال احد المتبحرين

وصاحت كلير سانتريه ، وهى تضم يديها

ـ هذا شاعر مجنون

اننى اعلم ان فى لغتكم عددا يفوق كلمات لغتنا يا عزيزى سوامز، ولكن عليك ان تعترف ان قصب السبق يبقى فى الشعر لفرنسا

وكانت المسافة التى تفصل بين انطوان ولوسيل لا تزيد على متر واحد . ولكن كلمة « الخفقات » لم تعد تثير فى فؤاديهما شيئا

ولم تعد كلمات كلير سانتريه تثير فيها ذلك الضحك المجنون الذى كانت تثيره فى الايام الخوالى

« النهاية »